سِفْرُ الحُبّ

اســـم الكتـــاب: ســـــــفر الحــــب
التـأليـــــــف: محـــــروس عــــــامر
نـــوع العمـــل: نصـــــوص نثريـــــة
إخـــراج فـــني: ســـالم عبـــد المعـــز ســـواح
تصـــميم الغـــلاف: الشـــــريف طنطـــــاوي
رقـــم الإيـــداع: 2022/29051
التـــرقيم الـــدولي: 978-977-835-343-3
الناشــــــــــر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع
٤ ش بديع خيري متفرع من ش عبد الحميد بدوي خلف كنتاكي نادي الشمس مصر الجديدة - مصر.

دار زحمة كتاب للنشر


Facebook
Email
za7ma.kotab@gmail.com
Tel

002 01205100596
002 01100662595





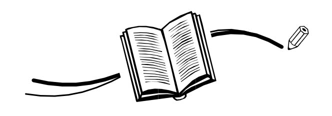


نصوص نثرية

محروس عامر



إلى كل أصحاب الأقلام الصادقة التي أثّرت
إيجابيا على مسيرتي الأدبية.
إلى رفيقة دربي وعينيّ اللتين بذلتُ ولازلتُ
أبذل ما أستطيع من أجلهم.
أهدى مجموعتي.





(١)

مرآتي

مرة أخرى أجدني تائِها في عينيكِ سابحا بلا إرادة، مستمتعا بلا نفور ولا تذمر ولا متعجل الوصول إلى مرفأ، ربما أفتقد هذه السباحة منذ التقينا آخر مرة!

حبيبتي، تحير أفكاري عندما أنظر لنفسي في المرآة وأرى صورتي التي تعشقينها، ويراودني السؤال هل تعشق حبيبتي هذا الشعر الأبيض؟ وهذا الوجه المتعب؟ أم تلك الخطوط التي رسمتها الأيام على جبهتي؟! أم تلك الهالة الداكِنة أسفل عينيّ؟

أتأمل وجهي في المرآة لألاحظ أثر الفترة الماضية، من توغل الشيب في شعرى، ومن تباعد خصلات الشعر في رأسي وكأنما تزداد الفرقة بينهم، وأرى خطوط جبيني الثلاثة الرأسية والخطين الأفقيين يزداد عمقهم أكثر، فقديما لم تكن تلك الخطوط تظهر إلّا بسحب جبهتي لأعلي أو عندما كنت أقارب بين حاجبيّ ... نعم هكذا مثلما تفعل أنت الآن، أما الآن فأصبح ظهورهما لا يتطلب عناءً إضافيا فهي دائمة الظهور، هكذا تترك الأيام وما حَملتهُ من قلق وتوترآثارها نقشا ورسما على وجوهنا وعلى قلوبنا.

تواجهني مرآتي بحقيقتي التي أتجاهلها كثيرا، إني لست ذلك الشاب المتفجر حيوية ورجولة، بل النقيض تماما فأنا رجل كبير غطى الشيب رأسه بهالة بيضاء، وأبى الكرش إلّا أن يبرز رغم محاولاتي العديدة لإخفائه، يبدو لي أنه مثل سيجارتي فكلاهما يأبيان أن نفترق أو لعلهما الصديقان اللذان قررا ملازمتي.

تلك الصورة في مرآتي ترتسم الآن في مخيلتي وأنت معي تحاول عيناي أن تحيط بحدود ملامحك كى أرسم لك صورة، ما أجمل نور الفجر المشرق من جبينك بُعيد نهايات خصلات شعرك الليلي الهادئ، وما أطيب ثمرتا التفاح المستلقيتان على خديّكِ، أما شفتاك فدائما ما يتعثر قلمي حين أحاول وصفهما، تضيع كلماتي بين جمالهما وحسن حديثهما وبين لذة شهدهما واللهيب القاطن فيهما ... شفتاك تجتمع فيهما كل لغات الكون المنطوقة والمرسومة والمحسوسة وكل ملذات الدنيا وكل لهيب الحب المستعر شوقا في قلوب العذارى ... يجب ألّا يتعثر قلمي هذه المرة فلنؤجل الحديث عن شفتيك إلى وقت آخر. أعود لتلك العينين اللتين أتعجب من

عشقهما لذلك الوجه القاطن في المرآة وذلك الجسد العشوائي المليء بأطلال القصور وبقايا الغابات، أما أنتِ ... حين أحاول ان أرسمك، أرسم قوس قزح يلف الأفق ويلون وجه السماء، أشمك نسمة حنون تداعب شعر الصبايا وتنشر عطر الرياحين والياسمين في فصل الربيع.

تقفز فكرة في رأسي الآن، لعلها تراني من خلال ثقافاتي المتعددة ومعارفي الواسعة التي عكفت أجمعها وأفككها ثم أعيد تركيبها وتفتيتها ثم دمجها لأوجد ما يربط وحدة العالم لابن عربي وميكانيكا الكم فكلاهما أثبتا أن العالم غير حقيقي وأن الكون المنظور ما هو إلّا انعكاسات لطيف الطاقة الصادرة من الكون الحقيقي والموجود الأوحد الذي هو نور السماوات والأرض. أو بما يوافق ويعارض السهروردي الرئيس ابن سينا، وكيف (تفلسف) أبو حامد الغزالي فكتب تهافت الفلاسفة، أو عندما أنكر ابن تيمية قِدَم الكون بإثبات القِدَم له عبر تسلسل الحوادث.

ولكنني عندما أكون معها، لا أتذكر ما حفظت من العلوم ولا أتذكر سنوات العمر التي مررت بها بل أكون طفلا يستقى منها الحنان ويتعلم الحبو في رحاب سهولها وعلى مرتفعات هضابها وأتعلم فنون الغوص في عيونها.

تزداد حيرتي وتتشتت أفكاري أكثر فأكثر، فلماذا تحبني؟!

فإذا بصوتها يهمس لي:

"هون علي نفسِكَ حبيبي، فإنني عندما أنظرإليكَ لا أرى ما تُبده لك مرآتُكَ وإنما أجدكَ جذرا يثبتني في الأرض وأستقى منه الحياة، فإني خلقتُ منك وتنساب حياتي من بين يديكَ، إني أجد فيكَ الشمس التي سبق وجودها وجود الضوء، إن وجودكَ معي وفي محيطي، يعزز من هالة الطاقة المحيطة بي، وأجد معك ما أصبو إليه من إحتواء.

اترك مرآتك حبيبي، وها هي عيناي لتبصر صورتَكَ الحقيقية، فماهيتكَ سَبقتْ وجودكَ وشمسُكَ سبقتْ ضوْءَكَ وروحكَ سبقتْ كونَكَ، انظر إلى عينيّ ودعني أرى فيك ما تخفي مرآتك".

*****



(٢)

تناقض

أجلسُ على شاطئ البحر أراقبُ أمواجه وهي تتراقص فرحًا مُداعبةً نسمات الهواء في فصل الربيع وأتخيلُ عينيكِ ترتسمُ أمامي في صفحةِ الماءِ المتلألئة تحت أشعةِ الشمس الذهبية وقت الشروق. مثلما كانت تبدو أمامي بين العيون وحيثُ كانت عيناكِ وحدهما قادرتين على أن تجذبا كل انتباهي، وأغوص داخلهما أعمق وأعمق وأشعر بجفنيكِ تتقاربان وكأنما تُغلقان المخرج كي أظلُ سابحًا في بحورهما هائمًا في فضاءاتهما الشاسعة متحررًا من حدودِ الممكن ومتعديًا نهايات المتاح.

علينا ان نتقل أن البعدَ والاقتراب يكملانِ بعضهما البعض، على الرغم من قسوة البعد ومرارته. إن الكون تكوّن من الثنائيات المتناقضة التي أنتجت اتزانه وعبّر عن جماله وإتقانه في تماثله من دوران الإلكترونات حول النواة إلى دوران النجوم في المجرة. إن ثنائية الخير والشر وثنائيات الطاقة الكامنة والطاقة السوداء والمادة والمادة المضادة والوجود والعدم، كلها نقائض شكلت للوجودِ

صورته التي نعرفها وتوازنه بين الاتساع والتمدد المتواصل وبين قوي الجاذبية وخاصة تلك المتولدة عن إنضغاط النجوم العملاقة بعد موتها فتصبح ثقباً أسوداً.

الثقب الأسود ....، نعم عيناكِ تمثلان لي ثقبًا أسود يجذبني مهما ابتعدتُ عنه، وأنا لا أحاول المقاومة، بل أُسرع إليه كى أدور في جاذبيته ويتوقف الشعور بالزمان والمكان وتتعطل الحدود بين الممكن والمحال، وما ألبث إلا ان انزلق داخله، فينقلني إلى عالم آخر تسكنه الملائكةُ بأجنحتها البيضاء وتملؤه ورود بكل الألوان وشذا الياسمين والريحان وأنهار فراتُ، هنالك في البعد الآخر تشعر بعد رحلة سفر مضنية، أنك وصلتَ أخيرا إلى المستقر، إلى المكان الذى تنتمى إليه خلاياكَ وذراتُك ومنتهى كل أحلامك.

يتناثر على وجهي بعض من رذاذ الماء، فترتسم على وجهي ابتسامة غابت عنه منذ سنوات، فلقد كان وعدنا ألّا نفترق وكنا اتفقنا أن يكون بيننا وصالٌ لا ينقطع وسعادة لا تنتهي وحب لا

يضعفه دهر ولا يفُت منه همسات الصبايا في سهراتهم الليلية، إني أوفيتُ لعهدنا، فوفائي لعينيكِ جزءٌ من ذاتي ونبضة من نبضات قلبي الذي ما انفك ينبض بحبك، ولم يزل لم يفارقني دفء صدرك ورائحة عطرك ... ها هي قاطنة على كتف القميص.

أردتُك دائما وما زلتُ أريدُكِ روحًا تلجأ إليها روحي وفضاءً تسبح فيه مخيلتي وجمالا تستأنس فيه نفسي، فأنتِ في عيني امرأة جمعت في ثناياها كل الكون. أريدُكِ عاشقتي التي أمارس معها العزف، أداعب أوتارها متنقلا بين النغمات الغليظة والنغمات الرفيعة وبين الأصوات العالية والمنخفضة وأدق على طبولك إيقاعات بطيئة حالمة أتبعها بإيقاعات سريعة صاخبة، فعشيقتي هي لوحة الرسم التي أرسم عليها أجمل لوحاتي التعبيرية وهي الحروف التي أكوّن منها أجمل قصائدي الرومانسية. أنتِ قيثارتي التي أعزف عليها أروع مقطوعاتي الموسيقية.

أحيانا أراكِ الحلم الذي تهفو روحي إليه، وأحيانا أريدكِ الحقيقة التي أمارسها كل يوم. أنتِ، حبيبتي، معصيتي التي أصر على أن أرتكبها وأدعو الله ألّا يغفرها لي، وأنتِ إيماني وهدايتي وابتهالاتي التي أحافظ عليها. فبين الحقيقة والخيال أجدك أنتِ وبين الذنب والمغفرة أُريدك أيضا. فأنا يتجسد داخلي كما يتجسد داخل كل منّا الكون وأنا بكل متضاداتي أحبكِ وأعشق كل ثنائياتك. أعشقكِ حين يستسلم خصرك ليديّ وحين تشتاق شفتاك لشفتيَّ، وأحبك حين تتأجج نيران الغيرة في قلبكِ وحينما تمارسين عنادك المفضل وتبتعدين، أنتظرك وأراك متسللة تقتربين مخفيةً في حيائك شوقك لمأواكِ داخل صدري.

يتعالى ارتفاع الموج في البحر، يزداد صخبه وتتصارع الأمواج داخله، تتلاطم وكأنها في صراع وجودي تُفنى كل موجة نفسها في الموجة التالية في قفزات انتحارية، وتتسارع آخر أمواجه نحو الشاطئ، ترتفع لأعلى وتهبط كقذيفة فوق الصخر، وكأنما تقتص

منه لأنه وضع حدًا لحريتها وقيد أحلامها. تتحمل الصخرة في صبر وهدوء مريب ... ألاحظ حبات الرمل تنفصل منها، أراها تتراقص، تستشعر حريتها تجري مسرعة إلى أحضان البحر تاركة الشاطئ والصخرة متحدةً مع من تحب ...!

إن حبيبها البحر، الهادئ الحنون والصاخب العنيف كعينيك. فعيناك بحر بكل ثنائياتِه وكل تناقضاته وأنا أزداد كل يوم شوقا إليك وبعدا عنك.

*****



(٣)

ذكرى لا تموت

أجلس على أريكتي محتضنا بيدي أجمل الورود التي جلبتها منذ ساعات قليلة من أشهر محلات الزهور في المدينة، إنها وردة حمراء قاني لونها من فرط الشوق المختزن فيها منذ كانت نبتة صغيرة، كأنّ أوراقها الندية ترسم كلمات الحب بكل لغات العالم وتنشر شذاها أشواقا تلف أرجاء المكان.

أجلس مرتديا سترتي الكُحّلية التي أحتفظ بها للمناسبات السعيدة مع رابطة العنق الحمراء التي أراها اليوم شاردة في حوار عميق مع وردتي الحمراء كأنما يتبادلان أساطير الحب القديم وأحوال قلوب العاشقين. أُخرج لفافة التبغ الكوبية التي أحتفظ بها من زمن وأشعلها كي تكتمل عناصر البهجة. فإن عيد الحب، والقلوب الحمراء والموسيقى الصادرة من أوتار القيثارة أشعلت في جوفي مشاعر الحب التي تجاهلتها أحيانا وأنكرتها أحيانا أخرى. ولكن قلبي يملأه الشعور بالضياع وكأن سفينتي قد ضاع طريقها واستسلمت لتقاذف الأمواج في متاهات بحور الحياة وأصبح الوصول الي مرفأ حلم بعيد المنال.

فتحت هاتفي أريد أن أطلب منها أن نلتقي على الفور لأمر مهم وأحمل إليها وردتي لتنقل لها ما لم تستطع كلماتي البوح به من حنين

وشوق. أتساءل ... لِمَ لا أقول مباشرة أنى أحمل لكِ وردة عيد الحب؟! يا لها من لعبة سخيفة يلعبها كل العاشقين وتعرفها كل العاشقات وتدّعى كل مرة أنها تفاجأت، فكلاهما يعرف ما يخفي الآخر ولكن الجميع يستمر في نفس اللعبة التي بتكرارها أصبحت رتيبة كقصص جدتي التي لمْ تسأم تكرارها ولم أتوقف عن طلب إعادتها.

أبحث عن رقمها في هاتفي وأنوي أن ألعب أنا أيضا نفس اللعبة السخيفة، مؤكد هي هنالك تنتظر أن أتصل لتوهمني أنها تفاجأت وأن تصرخ فرحا حين أقدم لها الوردة. إنها تجيد آداء دور العاشقة المتيمة وتفرد جناحيها فرحا حين تسمع صوتي وحين أبثها بعض المشاعر، وترتمى في أحضاني كطفلة ينقصها الحنين. وأنا كذلك، أجعل من كلماتي أقراطا ذهبية وعقد من ياسمين فأنا أيضا أجيد أدوار العاشقين. وسط هذا الإتقان في قصة عشق تبدو مثالية ويؤدي كل منا دوره بحرفية أجد شعورًا ينتابني وكأني وسط مسرحية هزلية تتكرر كل يوم، لماذا لا أجد في حبي لها خرقا للناموس ولا يكسر حبها لي قوانين الطبيعة ولا يفسر شروق

الشمس بعد المغيب. فرغم حبها لازالت تجول داخلي أسئلة كثيرة باحثة عن إجابات.

تتحرك أناملي ببطءٍ ورتابة فوق سجل الأرقام في هاتفي، تتراءى أمامي الذكريات كلما لمحت اسمًا مكتوبًا من بين الأسماء فبعضهم يترك ذكرى لا تنسى والبعض الآخر لا يترك حتى سراب. ثم، أتوقف كثيرا ويمر الوقت ببطءٍ أمام هذا الاسم القاطن دائمًا في هاتفي رغم تغير الهواتف وتبدل الأرقام إلّا أنه يأبى أن يفارق قائمة أرقامي المفضلة.

ترتسم ابتسامة تجلى على شفتي، نعم أنتِ. ها هو رقمك يقفز أمامي من جديد حاملا كل آمال الطفولة وكل الأحلام التي انتحرت على الأرصفة من زمن بعيد. أعلم أنك لا تنتظرين اتصالي ولا تتوقعين رسالة مني في عيد الحب فقد اعتدتِ ألّا أكون معكِ وقت يجتمع المحبون وألّا أمسح دمعك حين تبكين ... بينما أجدك جانبي حين أتعثر وحينما تضيع من قدمي الطريق. أقرأ الحزن في عينيكِ عندما نلتقي روايات مأساوية تتخفى خلف ابتسامتك العذبة المرسومة عقد نبيذ. أرى أشجار الحزن في عينيكِ تهجرها طيورها شيئًا فشيئًا ويجردها الخريف، فتتجمد الكلمات في فمي وأتجاهل

صريخ الحزن الصادر من صدرك. أعلم أن حبي الذي أسكنته قلبك تحول خنجراً ينخر فيه وأن شوقك إليّ أمسى طوقا يخنق أحلامك حين تستيقظين وحين تنامين. وأمام جبال حزنك أقف أنا متجاهلا بكل غباء وتعالي، أو ربما أشعر بالضعف ...! وأجبن على اختراق دروعك رغم أنى أعرف أنها تساقطت منذ حين.

لا... إنى لا أجبن أو أضعف ... إني فقط أحبك ...! وفروسيتي تجبرني أن أحافظ على سرك وألّا أفضح أمرك ولو بيني وبينك، لا يصح لي أن أشعل خجلك بكشفي السر الذي تصورتِ أنك عني تخفين. يؤلمني أن يشعل الخجل خدكِ الرقيق فتتوارى منه عيناك فأفقد لحظات لا أرى عينيكِ.

ما أعظم خجلها لو تدري أنى كنت أداعب حبي داخل صدرها طفلا صغيرا، وأني من علمه حروف الهجاء، وأني أحضرت له أقلام الألوان التي رسم بها داخل صدرها قمراً بازغًا وشجرةَ زيتونٍ وقلباً فوق الشاطئ المطرز بضوء القمر.

إني أعلم أنكِ أيضا تدركين حبي لك ولا أحتاج لوردة أو لكلمات تفسد حلمنا الجميل. تشعرين بحبي حين ألجأ إليك وحين تتفرق من حولي العاشقات وحين يتمرد عليّ قلمي فيأبى الكتابة.

أعود إليك كطفلٍ ضل الطريق، فيأويني صدرك وتمسح يدك حزنا منقوشا على قلبي، فإذا اندمل الجرح وانقشع الغيم، أبتعد عنك بحماقتي المعهودة، أتركك "هاجر" مع وليدها القاطن في قلبها بلا بئر ولا رفيق. إني المتسلط على قلبك، أوهبه حزنا وأملا مكسور الجناح. ويرد قلبك همهمات تضيء دروب التائهين. أقص عليك قصص سهراتي ومغامراتي مع الأعين البنية والزرقاء متجاهلا صمتك الذي يصرخ مدويا "لِمَ لا تشاركني ضوء القمر ولألأة النجوم؟". أشعر أنك إيزيس تجمع أشلاءي وتنفخ فيَّ الروح وتبثني بقايا السعادة التي سلبتها منكِ النوائب وظلم المحبين.

فتعالي حبيبتي أمنحك وردة حبي، أن أجعلها تقطن يوما في كفك وأن تنبت فوق صدرك الذي أتعبه الأنين. تعالي أطفئ جمراً في صدرك مشتعلا منذ سنين.

تصدر من صدري تنهيدة طويلة، أنظر ببطءٍ لوردتي التي لم تزل في يدي وكأنما أراها لأول مرة، أعود لهاتفي واسمها المنقوش فوق الشاشة، آخذ نفسا عميقا من لفافتي الكوبية وأغمض عيني فتصمت الكلمات داخلي ... **ويسقط الهاتف من يدي وتذبل الوردة، وأعود لحزني القديم.**



(٤)
غداً سنلتقي

قالت: "سنلتقي ... سأكون في انتظاركَ ... على شاطئ البحر... فوق الصخرةِ ... في ضوء القَمر"

انتفض قلبي كطفل تائه انتبه لنداء أمه. يريد أن يذهب إليها من الآن، يناشدني، يتودد إليّ، ويتوعد ... ويكرر مطالبته بجناحين كى يطير إليها. أما أنا فقد نقلتني كلماتها من حيث أكون ... إلى هناك، حيث تهفو روحي وحيث المستقر بل المأوى والمنتهى لأحلام العمر.

إن حبيبتي هي حُلمي الذي أسعى خلفه منذ الطوفان، وهو الذي شَكّلتهُ رسومًا ونقوشًا على الجدران، وحبها جعل سفينتي تُبحر في دوامات العمر تأبى الغرق، تُحطم أمواج الحزن، وتُفتِتُ الصخر مواصلةً سعيها متمسكة بحلمها، إلى أن برقت من بعيد عيناها فعرِفتْ سفينتي مكان المرفأ.

ما أجمل أن تَحلُم بيوم اللقاء، وحبيبتي شمسٌ لا تُخلف الميعاد. عندما نلتقي، يكون الصباح! فيبدد ليل حياتي مُحيّاها وتطفئ بحنانها

لهيب شوقي المرسوم في الأفق، فتعود ساعة عمري للحركة وتَرجع لأقدامي وقعها ولخطواتي أثرها فوق الطريق.

أشعر بفيضان سعادة يغمرني، نسيت كل ما لدي من مواعيد، وكل ما عَقَدَته من اتفاقات، احتلتْ هي بؤرة تفكيري. أنظر إلى ملابسي وكأنما تتراقص في موضعها فَرِحةً، كلٌّ يريدُ أن يناله حظ لقيّاها، وأن يشعر بكفها الحنون يداعبه وأن يستقي بعضا من عطرها. حتى نظّارتي وعطري ولفافة تبغي. إنها لم تملكني فقط بل سيطر حبها على كل الأشياء. أما أنا فأجدني كما كنت دائما ثملا بحبها غارقا في بحور عينيها.

قالت إنها تُحبني، وأني منتهى رحلة سفرها وأني بلسمُ لجراح عمرها، بل أن عمرها بدأ من يوم وجد قلبها المأوى في صدري. تساءلت كثيرا ... لِمَ أنا، من دون الرجال؟! ولماذا أصابها سهمي، دون السهام؟! وماذا وجدَتهُ في صدري! وحضني وما عندي من رضاب ؟! وما لبثت إلّا أن اكتشفت أنني أخطأتُ السؤال، لأن

حبها لي هو ليس نتيجة إنما هو سبب لتغير حياتي وسعادتي، وعلة دوران الكون واخضرار الزرع في الحقول وألوان الزهر وزقزقة العصافير! إن حبها أرجع الابتسامة على الوجوه والرضا في القلوب وأنها هي من جعلت البنات أجمل وأنبتت الحمرة على خدودهن والشوق في قلوبهن، فألهبن قلوب الرجال. هل بالغت في وصفها؟! أم سيّطر شغفها على قلبي فأذهب بعضا من عقلي؟! أم لكونها تختلف عن النساء؟! ...

إن الحب والسعادة والجمال من الأسماء والحقائق العقلية التي نشعر بها ولا نُدركها بحواسنا ولذلك فإنه يتغير مدلولها ومعناها بحسب المضاف إليها من الأشياء العينية. إن تصورنا لجمال الشَّعْر والثغرِ وجمال البحرِ يختلف كل منهم عن الآخر، فاختلف معنى وتصور الجمال بإضافته إلى الحقيقة العينية. وتَرافق مع الحكم بالجمال للثغر والشَّعر والبحر، حُكم الثغر والبحر والشَّعر على الجمال بالتغير في

مدلوله. **لذلك فكل محكوم به من الأسماء والحقائق العقلية هو محكوم عليه من الأسماء والحقائق العينية.**

فعندما أصف جمال عينيها بما لا يقارن مع غيره من جمال عيون النساء لأن وجودها في التصور أو الإشارة إليها في العبارة يغير مفهوم الصفات إلى ما يشبه المطلق ويغير حدود الخيال فيتمرد على التأطير ويتخطاه لفضاءات غير محدودة.

إن غدا الموعد، يملكني الشوق لابتسامتها، ولمعة الفرح في عينيها، ولضمة يديّ لكفيها، هنالك سنلتقي على شاطئ البحر، فوق الرمال المذّهبة التي طرزها نور القمر، حيث سيرقص الموج فرحا، وستتجمع حمائم النورس مكونة سمفونية عشق تتهادي حولنا. سيكون القمر مضيئا محتفيا باللقاء وتتسابق الفناجين أيهم يلثم ثغرها وتسري الريح تداعب شعرها وتحمله حتى يغطي وجه الأرض فتسكن في ليل هادئ يروي القلوب الظمآى لصدر الحبيب.

إن نشوة اللقاء وأحلامه قد تفوق اللقاء جمالا، حيث نتصور اللقاء بأشكال كثيرة. نهدى الورود، ونتبادل الكلمات والنظرات وترقص قلوبنا فرحا وتهدأ نفوسنا في معية الحبيب وإن ظل اللقاء حُلمًا وفكرة تراودنا فإن السعادة باللقاء تظل عالقة في قلوبنا وأفكارنا، "غدا موعدنا" هكذا قلتْ، وها أنا أعيش غدي من الأن الي أن يأتِ.

*****



(٥)

تمرّد

أقلّبُ أوراقي...، فبالأمسِ كتبتُ لكِ أني أحبكَ وأن شوقي إليكِ تعدى حدود المعقول والمحتمل، وأنى لم أعد أحتمل فراق عينيكِ، رغم أن صورتك أمامي لا تفارقني وأني كثيرا ما أناجيكِ في صمتي وفي كلامي، أقصُّ عليكِ أحداث يومي وأُشْهدكِ على لفافة تبغي حين يتملكها الدلال وتهرب مني وأفتش عنها في أكوام الأوراق المتناثرة في الغرفة وفي ذكرياتي القريبة والبعيدة ... وحين أعتزم استبدالها، أجدها أمامي...

تراوغني لفافة تبغي وتباغتني، تتدلل فهي تدرك عشقي لها وتراني أبتسم حين تتدلل، غالبا أحب دلالها... ولكن أحيانا تفقدني صوابي تشعل غيرتي وحيرتي فيتملكني الغضب، أُشعلها ... أستنشقها بعمق داخلي وأنفثها دخانا للأعلى وأعلن تمام انتصاري حين أقذف ما تبقى منها بعيدا منتشيا بانتصاري عليها، وما ألبث أن أشتاق إليها مجددا فأعود أبحث عنها ... وتراوغني وتتدلل ... ونكرر قصة كل يوم !!

بالأمس... وقفتُ في شرفتي حيث وردتي الحمراء، جلست أحاكيها وأبثها ما بي من وجد وشوق وحنين لعينيكِ فكثيرا ما تحمل الورود رسائل المحبين وغالبا ما تنقل تعبيرات لا ينطقها اللسان ولا تعبر عنها العيون، سألتها أن تنقل لكِ ما بي من وجد ورجوتها ألّا تحكى لكِ عن شعري الذي اجتاحه الشيب ولا عن آثار العمر علي وجهي. هل تعلمين أن وردتي تشبهك كثيرا؟! فحمرة لونها من خديكِ وعطرها من أنفاسك واستقامة عودها من قوامك وأشواكها عذاب الهجر في بعدك وجفائك.

بالأمس... راودني خاطر منكِ أخذني من حيث كنتُ إلى حيث أنتِ، حيث يراقص النسيم فستانك وتداعب الرياح خصلات شعرك وتزغزغ حبات الندى خديكِ، وحيث تلفك ذراعي ويحتويكِ صدري المتلهف لحضنك وأغوص فيك بعيدًا ... بعيدا، حتى نتوحد ونخرج من إطار الزمان والمكان. فحينما أضمك لصدري تكف عقارب الساعة عن الدوران، وتتوقف حركة

الفلك، يراقبنا الكون متعجبا منتشيا بالألحان الصادرة من دقات قلوبنا التي تملأ الكون موسيقى رومانسية يتراقص على أنغامها الطير وتلهم الشعراء قريض الشعر. أعترف لكم أني ما زلت أشعر بحضنها فوق صدري وبقايا عطرها لم يزل في أنفي وأن ليونة قدّها أوهنت قلبي.

أما اليوم ... صوت داخلي يسألني ... لماذا أبقى على حيرتي وأستعذب عذابي؟ لمتى يهجر النومُ الجفون ويقطن الحزنُ القلوب؟ لماذا لا أتخلص منكِ وأجتثُ ذكرياتك؟! فلم يزل في العمر بقية، ولم تزل تزخر الأرض بالنساء بعيونهن السمراء والبنية، وقدودهن المنحنية والمستوية والخبيرة في الحب منهم والأمية. لماذا لا أكسر قيدي؟ وأبدّل كأسي؟! وأبحث من بعدكِ من تعشق قلبي ومن تفهم صمتي.

الآن سأشرع في انتزاع حبكِ من داخلي، سأقطع شرايين قلبي شريانا ... شريانا، أقتلع أحلامي، ثم أنتزع رائحة عطرك من كتف القميص ومن أنفي ومن أركان الغرفة وأجمعها في زجاجات عطر مع رسائلك وأقذفها للموج علّهُ يحملها إليكِ. وصدري... !! سأنتزع آثار حضنك من صدري؟! واطير احلق في فضاءات الكون الرحبة ابحث عن حلمي.

أشعر بدوار يمكلكني، آلام تنتابني ورعشة، يتمثل أمامي شامخا ... يصيح بي، حذارِ أن تقربني! حذارِ أن تتعدى! فأنا الحب ... الباقِي بعدك والموجود قبلك، أحكم ولا وأمري نافذ على القلوب، تهتز من أجلي عروش وتبنى من أجلى قلاع. أسمع يامسكين، حكمي عليكَ أن تجلس في زاوية الغرفة وأن تصطحب معك صمتك ولفافة تبغك، وأن تترك الحب ينبت من صدرك، وتُمّلكه زمام أمرك. إن قدرك تعيش ثملا بالحب وأن تفنى ظمئا. أن تعشق ما لن تدركه، أن ينبت حبك في صدرك ثمرا.

فتمتمتُ متلعثما مرتعدا من زاوية الغرفة (**إني...إني أُحبكِ ... واشتقتُ إليكِ ... فاعذري شوقي وسأمي، أقتربي وكوني لي حاضرى وقدري**).

*****



(٦)

اعتراف

ما أجمل أن يرتوي القلب الظمآن بالحب، وما أروع أن تقر العين برؤية الحبيب بعد الغياب...

ها أنا ذا أجلس معها ولا أدرى أين نحن أو من يشاركنا المكان وأي موسيقى تُعزف في الخلفية، فعندما أكون معها أتجاهل كل شيء فلا أريد أن يتحول نظري عن عينيها الجميلتين ولا أريد أن تسمع أذني إلّا صوتها العذب ودقات القلب عندما تتعالى فتطغى على كل الأصوات. غمرتني سعادة بالغة كادت تعصف بي عندما التقينا بعد غياب طال. لا أدرى هل طال الغياب بحسب عدد الأيام والأسابيع والشهور؟! أم طال وفق إحساسي بالبعد ففي البعد يتمدد الزمن وتتباطأ عقارب الساعة وتتلكأ كعجوز لا تقوى على الحركة، فتمر الساعة كأنها أيام أوأسابيع.

أما عندما نلتقي، تقفز عقارب الساعة وتهرول وكأنها تشعر، فيصيبها ما بي من فرحة ونشوة، أم أنها تشفق على قلبي المسكين الذي قد لا يتحمل فرحته بوجودها لفترة طويلة فتدق سريعا؟! يزعمون أن كل الساعات تدق بنفس المعدل ولكنني أرى ساعتي تتباطأ أحيانا وتتسارع أحيانا أخرى فهل يطول ويقصر الزمن أم أن ما يدور بخلدي من أفكار ومشاعر تغير وقع الدقائق؟!

ها هي عيناها اللتان أصبحتا تتحكمان في بوصلة حياتي تتفحصني وتومئ وكأنها تجذب خيوط الحروف من بين شفتي، بينما أنا مستغرق في الإبحار في عينيها، أنتبه لإيمائاتها فأحاول أن أتلفظ. إنني أجيد العزف على الكلمات، ولكن لماذا لا تستجيب أجهزة النطق لدي وكأنما انفصلت عن محركها أو أن الأفكار تبخرت من عقلي حينما غمرتني عيناها بتلك النظرة المملوءة بالأمل وكأنما تحتضنني وتدخلني في عالمها مسلوب الإرادة. هل تتخيلون أن تتجمد كلماتي داخل فمي ولا تقوي على اختراق جدار الصمت القابع بيننا؟ كنت قد أعددت كلمات أوضح بها أشواقي ولهفتي، فإن حبيبتي تعشق أن أمطرها غزلا وأن أستثير فيها كل غرائز الأنثى فتكون أحيانا الأم وأحيانا الرفيقة وأحيانا العشيقة، تقول لي دائما أنها تكتشف ذاتها وتعشق تفاصيلها وهي معي، أما أنا فأعشق تفاصيلها في كل الأوقات.

لم يكن لقاؤنا هذه المرة ككل المرات، فهنالك شيء ما أخفيه عنها وأواريه داخل طيات صدري ... ولكنه يأبى ذلك، شيء يدفعني بعيدا عنها وهو ذاته يجذبني إليها أكثر! جدار الصمت يتعاظم بيننا وكأنه جبل من جليد. تسألني ما بك؟ وأومئ لا شيء! وفي داخلي يستعر ذلك الشعور كشعلة نار توقد من داخلي

وتحاصرني، أحاول أن اتمالك ... لا أكاد أصدق ما أشعر به **"هذه المرأة جعلتني أشعر بالغيرة" ...**

كنت أرى أن الغيرة ضعف، وأن من يغار هو رجل لا يثق في قدرته على احتواء محبوبته وتلبية متطلباتها المختلفة، رجل لا تشعر معه بأنها أنثى كاملة وبأنها الأنثى العليا التي تسمو على كل النساء. فيغار الرجل وغيرته إقرار منه بالتقصير وخاصة إذا ارتبط هذا التقصير بقدرته على إثبات رجولته وإشباع أنوثتها وتفجير كل ما تحمل داخلها من براكين وأعاصير أنثوية. وكنت كذلك أؤمن بقدرة المرأة على حماية نفسها من كل الهجمات العشوائية التي يقوم بها رجال من حولها وخاصة إذا أسكنت أحدهم قلبها فيمتلئ به عقلها ولا يقبل عنه بديلا، بل إن وجوده في قلبها يجعل البديل في حد ذاته فكرة غير مطروحة ونشاذ داخل سمفونية عشقها.

ولكنني الآن يا سادة، أغار، إني منهزم فكريا ومنصدم شعوريا، فعلى الرغم من خلوى من كل تلك النواقص، أغار عليها من كل شيء، هذا ما كنت أخفيه عنكم وأحاول أن أخفيه عنها أيضا، ولكن بيني وبين نفسي، أعترف بأني أغار عليها أن تختلي بنفسها بل أغار عليها من تفكيري فيها. لا أدرى هل يصلكم ما أشعر به؟ أم أنني أهذى وتخرج مني الكلمات غير مرتبة وتتناثر المعاني من

حولي بلا ترتيب؟ لا بأس في ذلك، فجميعي قد أصيب بالعشوائية فلا ضير أن تتبعثر كلماتي. يبدو لي أني عشقت هذه المرة عشقا فريدا قلب موازين حياتي وأخرجني من دائرة معتقداتي وقناعاتي إلى عالم أجهله لذلك فإني متوتر، متوتر كثيرا وأخشى أن تقرأ عيناها هذا الذي أقصه عليكم.

صوت داخلي يقول: "إن من يعشق يغار"، فالغيرة ملازمة للعشق وتقوى كلما أُضرِمتْ نار العشق في قلب المحب. فالعشق يثير الغيرة يجعلها تتأجج وتفيض كمن ينفخ في الجمرة. يا لها من لوعة تعتريني وتقض مضجعي وتحاصرني ولا أجد منها مخرجًا.

انطلق لساني فجأة، نعم، إني أغار، فأصولي الريفية وجيناتي العربية لم تزل تنبض داخلي مهما حاولت أن أخفيها، يجب أن تعرفي الآن أنى أغار منه، ومنها، ومنهم جميعا، أنى أغار عليكِ حبيبتي من قلبي الذي يحتويكِ، بل أنى أغار عليك من أنفاسك وعطرك ومن عقدك الذي يلامس نحرك، أغار بل وتحرقني الغيرة. ففي الابتعاد تزداد الغيرة وعندما نقترب تزداد أيضا. إنى أتعذب وأتألم كثيرا .... !!

أتفحص وجهها أحاول أن أقرأ أفكارها وما ستبوح به قبل أن تنطق، قبضت على مفاتيح السيارة وعلبة التبغ استعدادا لترك

المكان، بل أتبخر في أيه لحظة، فإني أعرف أنها لا تستهويها الغيرة وبأنها كفراشة تأبى السجن ولو في قفص من ذهب. بدت لي وكأنما تحرك شفتيها أتمنى لو توقف الزمن ها هنا أو انقطع البث ...

انفرج ثغرها عن ابتسامة خفيفة ما لبثت أن غطت وجهها فازداد إشراقا وجمالا، وازددتُ أنا توجسا ورهبة! فقالت: أتدرى أن ما سمعته منك الآن ... هو أجمل كلمات العشق؟ أتصدق أنى ازددت الآن جمالا؟ وازددت بريقا؟ وشعرت بأن سنين العمر تعود بي؟ أخذت نفسا عميقا وكأنما عادت الحياة لقلبي، وابتسمت هي بزهو ودلال وتابعت: أن كلماتك جعلتني أحلق عاليا وأن أشعر ... نعم الآن أشعر أنني امرأة، نعم امرأة ليست ككل النساء. ونظرت نظرة حانية وكأنما تربط بها على قلبي وقالت: إهدأ حبيبي، وأعلم أنى كنت أحبك كثيرا أما الآن ... فأحبك أكثر وأكثر، وأعلم أنك عمري وأنك من أنبت البسمة في قلبي وأنك من أرجعت البصر لعيني وأني الآن أرى فيك رجلا بكل الرجال.

*****



(٧)

هل تَحُبَنِي؟

تسألني حبيبتي، هل حقا تُحِبُّني ... ؟! كانت كلماتها الرقيقة تنساب بين شفتيها بشيء من الحزن، وكثير من الحيرة. أخذت عينيها تجوب أرجاء المكان أكثر من مرة كعصفور في قفص يبحث عن مخرج. سبق سؤالها سوط إستلّ من عينيها حين استلقى كفها بين أحضان كفي كطائر جريح. كانت تتفحص ملامحي بإمعان وهدوء يخفي عاصفة هوجاء، كانت تحاول قراءة ما ارتسم على وجهي، وتتأمل ربطة عنقي وتستكشف عطري !! كانت نظرة عميقة، ممتدة وكأنما يفصلها عني عدة أميال، وأطرقت رأسها، فتهادت قطرة لؤلؤ من عينٍ أعياها السهدُ ليالٍ طوال، واستقرت فتلاشت على خدٍ قد سلب من دمي قطرات!

لقد كان سؤالها مباغتا، إلاّ أنه ما أثار قلقي وحيرتي هو أن أراها اليوم وردة ذهبَ بعضٌ من رحيقها أو كمصباح مضيء أُدخِل في صندوق شبه معتم. لا أتحمل أن يستمر طويلا هذا الهدوء الذي كاد أن يغيّر حرارة الجو إلى برودة، إني أحبها مشرقةً مضيئةً، تتلألأ حين تضحك فتضيء الكون وحين تسكن ينام الليلُ على شعرها. أشعر بأن الأفكار تتجمع وتتفرق داخل رأسي. تمتلئ رأسي بأسئلة بينما أبحث عن إجابات، كيف أرد عليها؟ ولماذا راودها هذا

السؤال؟ ولِمَ هذا الحزن الذي غشّاها؟ ولما هذا السوط من عينيها الذي لذعني واحاط بي؟ تتزاحم الأفكار في رأسي وتتطاير العبارات من فمي وتختلط أحداث الماضي بالحاضر والمستقبل، ما أقسى تلك اللحظات!

أتلَفتُ حولي أتفحص المكان محاولا جمع ما تبعثر من فكري، لأري وجوها متقابلة وأرواحا متعاكسة وعيون ترى ولا تبصر وآذان تسمع ولا تعقل، وشابا يتطاير الدخان من غليونه الإلكتروني، إنه دخان ليس بدخان وإنما سحابة من بخار يتشابه شكلها مع الدخان. لقد تغيرت الحياة فتغيرت الأشكال وتغيرت دلالات الأشياء. أحدث نفسي وأتسائل وأنا انظر الى تلك النبتة التي شقت طريقها من بين البلاطات الأسمنتية، هل بمقدوري أن أغرس وردا فينبت حبا، يثمر بسمة تغطي وجه العالم ويطير شذاها يلف الكون ويصرخ فيه "إن بقاءك معلق علي أغصان شجر الحب، فحذاري أن تقطع شجره، وحذاري أن تقطف زهره".

أشعلتُ لفافة تبغي وأطلقتُ سحابة من دخان، تبعتها رشفة قهوة من فنجان. وأنا أتفحصها بهدوء محاولا الغوص في عينيها فإني اعتدتُ السباحة في بحريهما وألفتُ الغرق في محيطيهما. تذكرت حينما أحاطت ذراعي بخصرها وعندما كان يتكئ على صدري صدرها، وحينما كنت أخوض غمار نارها وأتلذذ بالحريق، هممت أن أضمها ... ولكنني تمهلت، فرفقا بالغريق.

قلتُ بلسان الواثق وقلب المحب العاشق: الحب ليس سؤالا ولا تتبعه علامة استفهام! الحب هو المصدر والمستقر، هو البداية والنهاية، إجابة كل الأسئلة وعلة كل الأفعال. سيدتي، إنّ سؤالك إقرارًا بالحب ووجودي في عينيك اعترافا بعشقي الأبدي. عليكِ أن تتيقنى أن حبي لك تعدى مرحلة التعبير بالكلمات، أو أن أمارس أمامكِ بعضَ الرقصات وأن أهديكِ باقةً من زهرات. إن حبك نهر يجري في شراييني، اجتاح كياني وفتحتُ له كل الأبواب، أصبح يلازمني منذ التقينا ومنذ رشفت كلماتُ الحب شهدا من شفتيكِ، ومنذ عانقتك واشتعل الحريق.

لقد تعدينا معًا حدود الحب وامتزجت روحانا واتحد الجسدان. حبيبتي حين أناجيكِ أناجي نفسي، وأشتاق لنفسي عندما أشتاق إليكِ وإذا نظرت لمرآتي لا أرى إلّاكِ. إن الحب إذا ما سكن القلب واستقر به....، تتوارى منه الكلمات، ويعبر عن نفسه بهتاف تسمعه الأرواح، وتكاد الأفعال أن تنطق حبا بلسان الحال، وينشغل القلب بمن حب فيكون مطيعا معطاء.

وإذا ما احترتِ في أمري فلتسألي خصرك عن كفي ولتسألي وردك عن لثمي ولتسألي هضابك وسهولك عن لهوي ولتسألي غمدك عن سيفي. فرفقا بغريق يتشبث بكِ كطوق نجاة. لقد أصبحتِ لي نقطة الدائرة التي أدور في فلكها لا أقوى على التحرر من جاذبية عينيكِ ولا أريد. يا امرأة شكلتْ العالم من أجلي وشيدتْ قصرا في القلب لقلبي وجعلتْ من يدها مرفأ لسفينة عمري. وتسألني الآن عن حبٍ، في ظلمة الليل هو قمري! فلتهدأ نفسك سيدتي، ولتنعم روحك في جنة عشقي. ولتتكئي على أريكة حلمي **ولتعلمي أن غير عطرك، لن يلمس صدري.**

أقتربت من مقعدي ووضعت كفها فوق كفي، فتابعت وأنا أنظر في عينيها ... كوني لي ... نورا يضيء طريقي حين يهبط ليلي، حُلمًا يحملني إليكِ في نومي. أريدكِ بركانا تحترق فيه رجولتي وفيضانا يجمع أشلائي من أرجاء الكون ويقذفني على صدرك.

كوني لي أمًّا تغمرني، مهما حطمتُ أواني البيت، ومهما عربدتُ، ورجعتُ بثوبي متسخا. فإني جبت بلاد العالم ولم أرتض وطنا إلّا عينيكِ ولن اقبل بغيرهما بدلا.

*****



(٨)

فقدان الشغف

أجلس معها شارد الذهن، تنتابني حالة من القلق والإحباط، وبادرت كأني أحدث نفسي.

- إنه نفس الشعور، يتكرر كل مرة عندما ننتهي من انجاز العمل نكون قد تعلمنا أمورا كثيرة كان ينبغي أن نعرفها قبل أن تشرع في البدء. إنه شعور بالإحباط يجعلني بعدما وصلت إلى النهاية، أتمنى لو أن أبدأ من جديد. ولكن هذا في أغلب الأحيان غير متاح، فكل يوم يمر بنا نقترب أكثر من النهاية وتوشك الستارة أن تنسدل ...

(ترمقني محاولة فهم ما أقول)

- إن عيون الناس قُدِّر لها أن تكون في أعلى الجسد كى تنظر دائما لأعلى، فكلما ارتفعتَ ازداد عدد الناظرين الذين يبذلون في متابعة غيرهم ما لو بذلوه في شأنهم لما بقوا كما هم. ولعلهم مستريحون هنالك فهناك يتسع الفضاء، وكلما ارتفعت كلما ضاق المكان وتطلب وجودك مجهودا ويستلزم صعودك مجهودا مضاعفا. وبدل من أن يفسحوا لك الطريق أو على الأقل يتركونك وشأنك، تجدهم يعدّون أنفاسَك ويتلصصون على نظراتِك وهمساتِك بل ويتلمسون نبضات قلبك، وينسجون قصصا عنك ويجيبون على

أسئلة لم تطرحها أنت. إنها تعاسة يعيشها كل من يبزغ نجمه، وأن يتميز عن غيره. ذلك لأن الغباء داء ليس له دواء عند الأطباء ولا عند المثقفين.

(تتزايد علامات الاندهاش والأسئلة في عينيها)

- إني الآن أعترف أني قد تعبت، لم أعد أقوى على المواجهة وسأمت الكتابة والقراءة، فما بالكِ بالحب. فلقد فقدت الثقة في أهمية ما افعل، وفقدت الثقة في كثير ممن حولي، وفقدت الثقي في قدرتي على مواصلة الطريق. أعتقد أننا قد وصلنا للنهاية. فليس مقدر لنا أن نحيا حياة طبيعية في زمن انتشر فيه الغباء وأصبح الحمقى يسيطرون على المشهد، ويسنون قواعد الممكن والمتاح والممنوع. قررتُ أن أعتزل الحياة، أعتزل حبكِ وأهجر عينيكِ. كنت أنشد عالما يكسوه الحب والسلام وتملؤه الرأفة، وأقرّ الآن أني كنت واهما ولم أفهم دروس الفلاسفة ولا قصص الأنبياء.

(بدأت تشعر بالبرد يتسلل إلى نفسها، بدت حبات الدموع حيرى في عينيها، ضمت يديها على صدرها وكأنما تستدعي بعض من الدفيء أو كأنما تريد أن يبتلعها المكان)

- **ماذا تقول، هل تعني أنْ نفترق؟!! ما عُدتَ تحبني ؟!**

- لا أعرف، ولن أعِدُكِ هذه المرة بشيء، فلقد وعدتك سابقا ألّا أحبك .... وكذبت!! ووعدتك ألّا أخون وأقسمت ألّا نفترق و ....! كتبت "أنا وصديقي الوجع" ولأجل عينيك تخليت عن وجعي، والآن عدت له. لا أريد أن أعِد بشيء حتى لا أكذب، رغم أنى في كل وعودي كنت صادقا، وكنت صادقا عندما أخلفت. فلا تصدقي كلامي ولا تدوني عني قراراتي، فلا أدري في أيهم صدقت وفي أيهم كذبت.

- **أراك متناقضا؟!**

- قد أكون، وقد يكون من فرط الصدق، فإني أشعر الآن أن الروح تتسلل بعيدا عني، أشعر بالبرد يقترب مني، يغزو كياني، يبدأ من أطرافي ويتسلل إلى القلب، أشعر أن قلبي قد أعياه الحب. ليتنا كنا جهلاء كي لا ينتبه أحد لوجودنا أو غيابنا ولا يستمع أحد لصمتنا وكلامنا.

(اعتدلت في جلستها واقتربت مني، موجهة نظراتها إليّ)

- لقد اعتدتك قويا ملهما، تنثر أينما ذهبت رحيق السعادة والأمل. لتعلم أنه ليس لديك رفاهية الهزيمة أو خيار الانسحاب. فهنالك الكثير تعلمهم ولا تعلمهم يستلهمون منك قصة النجاح وينتظرون كلماتك التي تعينهم على تحمل الحياة.

(انطلقت تنهيدة كبيرة من صدري، تخفي كثيرا من الألم والحيرة)

- ماذا تنتظرين من شبه إنسان، وشبه عاشق، وشبه مثقف، وشبه مناضل. لم أعد حبيبك الذي اعتدى عليه، ولا فارسك الذي يثب لنجدتك. ابتعدى حبيبتي حتى لا أفقدك، ابتعدى كى تظل صورتك جميلة في عيني، أن أظل أحتضن طيفك في وحدتي وأن أحادثك في صمتي. فلم يبق فيَّ إلّا بقايا، صورة إنسان. ابتعدى وسأحتفظ بحبك في قلبي، وسأحتفظ بقصاصة ورق مكتوب فيها اسمك، وزهرة منك على وسادتي، وقميصي الذي يحمل عطرك، وفنجانك، وأعقاب سجائرك، وورقة عليها "شخبطة" قلمك يوم قولتِ"أحبك".

(تزايدت الدموع في عينيها، يتصاعد صدرها لأعلي ولأسفل...، إنه ذلك الصدر الذي كنت ألتجأ إليه يوما ما وأجد سكينتي هناك وتلك هي العينان اللتان طالما سبحت فيهما)

(رفعت رأسها بقوة، وجمعت قواها وكمهرة حرة تنتفض من بين الوحل، اقتربتْ من مقعدي، ورفعتْ بيدها رأسي كى تفسح لرأسها مكانًا على صدري، وألصقت رأسها بصدري وكأنما تريد أن تخترقه، وهمهمت والدموع تنهال من عينيها)

- لا لن يحدث، لن أسمح بأى مما قلت، ولن تفعل، لن أرحل ... لن أرحل.

(التفت ذراعي حول رأسها، عجبا إنه نفس العطر، كم أسكرني وعربد داخلي، لم أتخيل أنى اشتقت إليها كل هذا الشوق، وبأن ابتعادي عنها يحطمني ويفقد في عيني لون الألوان، ويمحو من فكري معني الأشياء. بدأ الدفءُ يدب في نفسي، وشعرت بأن همومي تنهار وأحزاني تتفتت من حولي، بدأت نفسي تتحرر. تراءى لي أني أحلق في الأعلى، فبدت كل الأشياء صغيرة وكلما ارتفعت تتضائل أكثر)



(٩)

أدْركتُ الحقيقة

إني أحببتكِ وتعلمين، وأشتاق إليكِ وتشتاقين. لمْ تعدْ تجدى نفعًا محاولاتُ التملصِ من حبك أو نكرانه فقد صار يرتسم على ملامحي ويتجول داخل دمي كريات وردية وذرات الأكسجين المسافرة عبر صدري إلى شراييني لتستقر داخل الخلايا وتمتزج مع مكوناتي. أدركُ أنَّ حبَّكِ حقيقةٌ أعترفُ بها، وأقرُ بأن كيانك توغل في أعماقي. فإدراك الحقيقة لا يصل إليها الكثيرون.

أغلبنا يدرك وجود الأشياء وقليل من يدركُ ماهيتها ويندر أن تجد من يدرك حقيقة الأشياء ومن يخوض غمار العلة والمعلول كما خضتها وتنقلت بين الحدث والحادث صعودا ونزولا فتلك رحلة وقودها العقل وبوصَلتها العشق المترفع عن طلبات الحس.

لم يساورني في الماضي شيءٌ من ارهاصات حبك ولِمَ أحبكِ؟ ولم أكن قد رأيتُ عينيك بعد! وعندما أشرقت عيناكِ وأطلتْ من شرفتي ذات المزهرية القديمة وأومأتْ لي من خلف نافذة الطائرة، بدأت تتراءَ لي أطياف الحب وانتابني شيءٌ من أعراضه ... والأن، استيقظتُ فإذ بأسوار الوهم تتهاوى أمامي بعدما كانت محيطة بقلبي وأيقنت حينها أن حبكِ غُرِسَ في أعماق

قلبي من قبل أن تراكِ العين، بل ربما قبل أن ترى العين النور! أدركتُ أن الحقيقة تنجلى أمامي وأن قدرتي على فهم الأشياء من حولي تتعدى حدود الأشكال والوظائف إلى ما وراء ذلك وأدركت أن حبكِ هو ذاك الحب المقترن بالروح والموصول بحبل الأبدية الممتد من قبل الخلق لبعد الموت.

بدأت هنا "مثلكم تماما" أتساءل لِمَ لمْ أدرك حبها من قبل؟ ولِمَ لمْ أدرك أن ماهيتي مقترنة بماهيتها؟! لِمَ لمْ أبصر الأبعاد الأخرى فيما حولي ولِمَ لمْ أشعر باتحادنا معا وبأن ذلك الاتحاد والتوحد لا يعتمد على إدراكنا له لأنه حقيقة مجردة لا يرتبط وجوده بإدراكنا له أو تغافلنا عنه. ولمَّا أمعنت النظر في أمري تبينتُ أن حبها جعلني أتيقن أن إدراك حقيقة الأشياء مرحلة عليا من الوعي، مرحلة يلزم لها كثيرٌ من الحب حتى تتكشف أمامنا الحقائق ونرى ما خلف الصورة من معنى.

أصدقائي، تعلمون أن إدراك الذات ينفرد بها الإنسان من بين المخلوقات، فلا تدرك المخلوقات الأخرى منزلتها في سلسلة التطور وفقا لنظرية التطور لداروين أو درجتها في السلسلة الغذائية ومدى

استفادته من المخلوقات التي دونها وما يمثل بالنسبة للمخلوقات التي أعلى منه مرتبه. بينما يدرك الإنسان ذلك بقليل من الوعي فقد أنشأه الله مدركا لذاته، مدركا لكونه إنسان، يحمل قلبا وعقلا وأن لديه قدرة كبيرة على إيجاد العلة لتغيير طبيعة الأشياء لضبط ملائمتها لوظيفة جديدة يبتغيها. فيحقق استقامة الأشياء في أداء الوظائف التي تخدم مشيئته بما في ذلك التسبب في الإخلال في اتساق الأشياء التي عجز عن استيعاب ترابطها.

وبشيء من التفكير نجد أن للإدراك درجات، أن تدرك كونك إنسانًا ولست فراشة وأن تدرك أنك لست مجرد حصان يحلم أنه إنسان، ولمَّا يستفيق ليرجع لكونه حصانًا مرة أخرى. فهذه الدرجة الأولي من الإدراك.

أما الدرجة الثانية فإدراكك لوجود الأشياء من حولك وعلة وجودها وما ستؤول إليه بمرور الزمن واستجابتها للمؤثرات من حرارة وضغط وغيرها. وأما الدرجة الثالثة فهي إداركك لماهيتك أنت وعلة وجودك ورسالتك في الحياة وما يتوجب عليك فعله لتحقيق الغاية من الحياة في فسحة من الزمن الغير معلومة لك،

وهذه معضلة أخرى أن تحقق غايةً في زمن غير معلوم لك ولا تدري متي سينادى المراقب بصوته الذي لا يقبل المناقشة ولا ينفع معه استجداء أن تترك قلمك وتسلم أوراق الإجابة وبها ما صنعت في تلك الفسحة التي قضيتها.

وبعد مراحل الإدراك تلك يتوقف العقل عن مواصلة صعود سلم الوعي، يتوقف منتظراً عونًا من القلب، ذلك الانتظار الذي يتوقف عنده الكون عن الحركة وكأنه الموت. كنتُ هنالك متجمدا عاجزا عن الحركة وطال مكوثي لسنوات إلى أن بزغ نور القمر من عينيك فأضاء ظلمة قلبي وتلألأت بنوره سماء الليل فأزالت عتمته. علمتُ حينها أن الصعود لمرحلة إدراك ماهية الأشياء وعلة وجودها وكيف تتسق كل المخلوقات في منظومة تكاملية قد يؤدى فيها تحرك جناح فراشة في البرازيل إلى تكوين إعصار يضرب سواحل الصين مرحلة لا يقوى على الخوض فيها وفك شفرتها إلّا عقل يضيء طريقه قلب عارف بالحب وتلك مرحلة الإدراك الرابعة.

إن بريق الحب من عينيها أكمل منظومة الإدراك لديّ وجعلني أنتقل إلى مراحل الإدراك العليا حيث إنه ضخ في القلب نور الحب الذي جعل الحقائق تتجلي وتتكشف.

وتتواصل مراحل الإدراك صعودا تبعا لقوة الحب العامر في القلب واندماجه في خلجاته واستقراره به إلى أن ندرك حقيقة الأشياء التي تؤدى بنا إلى إدراك الحق الأعظم الذي هو الحق الأوحد والوجود الأول الذي ترجع إليه كل الحقائق.

إنى أدركت الحقيقة كلها يوم أدركتُ حبكِ ونمى الوعي عندي بفنائي فيك وبتوحدك معي فمعًا يكتمل فينا الإنسان الأعظم الذي يدرك نفسه ويدرك الكون ويدرك وجود الله وأن كل الأشياء من تجلياته وقبس من نوره. فحبك لي الوعي والحقيقة وبحبك أدركت ماهيتي وماهيتك وأوصلني للإيمان.

*****



(١٠)

سنبقى معاً

حبيبتي، أكتب لكِ اليوم وأنا لست في أحسن حالاتي، فلا تنتظري مني ما اعتدتِ عليه من غزل ولا تُمِيلي خدك منتظرة قطرات الندى من كلمات الشوق التي طالما أمطرتك بها. فإني اليوم شارد الذهن، مثقل بالهموم، فلعلك تقومى بدور الأم التي ألقى برأسي فوق كتفها وأتخلص من همومي ومن تيه أفكاري وتهدأ مشاعري المتلاطمة.

لن أتركك كثيرًا تتعجبين وتحاولين قراءة أفكاري فطريقي اليوم عصيّ على التوقع ومساري لا يقبل التتبع. لعلي الآن أتمكن من أن أقصّ عليكم ما أخشى أن أتذكره أو أحدّث به نفسي وأبين سبب انقطاعي عنك الفترة الماضية.

منذ عدة أيام ، راودني حنين جارف لأبي وأمي فلقد طال فراقي لهما ولم أزر قبرهما منذ شهور لعلها انشغالات الحياة أو بعد المسافة أو لعلي خشيت مواجهتهما دون أن أحمل إليهما ما يشعرهم بالفخر والتباهى بي فكما تعلمون جميعا أن ما مضى من شهور كنتُ أسير فيها في مسار دائري فلم أصل لشيء ولم أكف عن المسير. وصلت بعد بعض العناء إلى قبرهما. مُخْجلٌ أن أضل طريقهما وهما لم يغفلا عني لحظة من قبل، لعلها طول مدة البعد أو تغير ملامح

الطريق، فهنالك طرق ازدادت اتساعا وأخرى أصبحت أضيق، وشجيرات نمت عاليا وأعشاب قد اجتثت.

سرت بين القبور المتشابهة الخالية من الناس إلّا ما ندر، بدأ الخوف يدب في جسدي فبدأت أتمتم آيات القرآن لكى يبقي ذهني حاضرا وفكري متيقظا حيث تذكرت أن المشي وحيدا وسط القبور قد يفقد الشخص بعضا من عقله أو يصبه بشيء من المس فآنست نفسي بسورة الفاتحة ويس وآيات من سورة البقرة ولعل القراءة جعلتني أواصل البحث وأضعفت سيطرة الخوف على نفسي حتى وجدت القبر الذى تقطن فيه أمي وجواره قبر أبي وأخي وعمي وجوارهم قبر يقطنه خالي وزوجته، تساءلت ... لماذا لم يعيشوا سويا في بيت واحد مثلما هم مجتمعون الآن؟! ولِمَ افترقوا ثم تجمعوا؟!

سلّمتُ عليهم جميعا ووقفت أتلو بعضًا من آيات القرآن كم مرت سنوات لم أركِ فيها يا أمي؟! كم أفتقد لضمة صدرك وأناملك تداعب شعري ما أشهى رائحة الطبخ التي كانت تفوح من القدر تشي عمّا فيه وتسيل اللعاب؟ هل تعلمون أنى من يوم فراقها لم يشم أنفي تلك الرائحة؟! كم أنا مفتقدك يا أبي! فمنذ رحلتَ أصبح ظهري مكشوفا أتلقى فيه كل يوم وابلا من الطعنات لم تكن لتصيبني في

وجودك فكنت أنت الحامى والسند وكنت المرشد للطريق. ها أنا أصبحت وحيدا أخوض خطوب الحياة أتعثر أحيانا وأسير أحيانا أخرى. حتى أنت يا أخي آثرت البقاء معهما على وجودك معنا رحمكم الله جميعا.

وضعت يدي على القبر وما لبثت أن جلست أمامه ملصقا ظهري ورأسي بجدارة، لا يفصلني عنهم غير جدار ففي الداخل مباشرة هم قابعون، لا أملك الدخول لهم ولا يخرجون، نظرت للباب الخرساني المصمت الذي يقف متحديا في صمته، إنه أكثر من باب إنه برزخ بين عالمٍ وعالم ويسمح بالمرور في اتجاه واحد.

بدأ الدفءُ يتسلل لي وكأنما أمي وأبي يحتضنناني ويربطان على قلبي ويجففان حبات الدموع القليلة التي اغرورقت بها عيني وأبت أن تنزل منها. فهدأت نفسي واطمأنت وبدأت أتفحص المكان فهذه شجرة وارفة تظلل المكان، ونسائم الهواء العليلة تسري لا حرَ ولا زمهريرَ. مددت قدمي واسترخيت أكثر، شعرت بألفة لم أعتدها في هذا المكان من قبل. فسابقا كنت آتى زائرا أما الآن فأتيت إلى مكاني الذي سأمكث فيه كثيرا. لا أنكر أنى أغبطهما

على الجو البديع الذي يحيط بالمكان، جمال وهدوء لا يوجد في فيلا من فيلات التجمع أو الشيخ زايد.

ازداد فكري شرودا وكأنما أخذتني سنة من نوم، تخيلته أمامي ... ليست له أوصاف محددة كي أصفه سمعت صوته وكأنما يولّد أفكارا داخل فكري فلم يكن له صوت ولا صورة إلّا أنه له هيبة تكاد تخر منها الجبال. وتيقنت في قلبي أنه ملك الموت!

بادرته: هل جاء يومي؟

فأجاب بلا نطق أو صوت "عندما يأتي الأمر"

تساءلتُ: وهل هو قريب؟

قال: "من الكل"

تابعت بخوف: هل تأخذها بقسوة؟ وارتعدت فرائصي وشعرت بوقع حبات العرق تسري على جسمي.

فجاءني الرد "بل آخذها لرحمان السماوات والأرض، آخذها إلى حيث تنتمي إلى الأبدية الموعودة"

هممتُ: لكنني أخشى؟

قال: "الأحرى بك أن تأمل، فرحمته سبقت عذابه وحلمه سبق غضبه".

وشعرت به وكأنما يجلس جواري ليحكى قصة، إنني كنت هناك من قبل وأن الروح نزلت كورقاء بيضاء من عليين إلى الأرض حيث سكنت الجسد متمنعة. وعلى الرغم من أنها لا تنتمي له ولا للعالم الأرضي ألفت الجسد واعتادت شهواته وملذاته وأصبحت تجزع من عوارضه وآلامه، لذلك حين يأتى موعد العودة تأبى أن تعود فلقد تناسيت عهدها الأول وطاب لها العيش مع طين يمشي على طين، وهنا فقط يأتى دوري لأخلصها مما تعلقتْ به ومما علق بها وأجعلها تبصر ما حُجِبَ عنها وتتذكر الحقيقة التي نسيتها فسرعان ما تتخلص مما تخيلته باقٍ ومما ألفت وجودها معه راجية العودة إلى حيث كانت والرجوع من حيث جاءت.

وفاجأني بشيء من اليقين: قصّرتَ؟

قلت بخجل: وأقرُّ،

قال برأفة: "أعندك ما يشفع لك؟"

قلت: لم أظلِم ولم أقطع رحما ولم أقطف زهرا ولم أرهب حيوانا أو بشرا وحتى من ظلمني أخذته بالرأفة، وعندها شعرت بالضعف وانساب مني الدمع وتيقنتُ أنى هالك!!

فسألني بشيء من الحدة: "ما أكبر ذنبك؟ "

قلت: عشقتُ.

فرد بشيء من التهكم: عجيب أمركم!!

أومأتُ له مستأنسا: أو سنلتقي؟

فأسهب في الرد: "هنالك لا حجب ولا مسافات ولا سفر، هنالك يجتمع المحبون ويتآلفون ويمرحون ويلعبون وفي نعيم ربهم متنعمون". فصدرت مني ابتسامة ولمع بريق الحب في عيني، وتماثلت أمامي عيناك المملؤة شوقا وحبا، فكلامه كأنّه وعدٌ بلقاء من أحببت وبأنه هنالك لا شوق للحبيب ولا خصام ولا فراق أو بون. وتخيلت حدائق غناء وشلالات مياه تتلألأ في ضوء بهيج. وحَمامات ملونة تتراقص فوق الأغصان وفواكه تقترب بغصونها مبتهجة وكأنما تبغي القطاف، وأرواح تتجمع وتتفرق في أنس وهيام وعشق واحد يجمعهم بلا غيرة ولا تنازع عشق لمن أودع في قلوبنا الحب وأسكن فيه الخفقان.

رنَّ هاتفي ونظرت فإذا بالشجرة الوارفة أمامي، ولامس النسيم خدي وقبل أن أترك المكان زرعت هناك شجرة صبّار ورويتها ونظرت إلى القبر أسلم علي من فيه وغادرت هذه المرة متأهبا لعود قريب. أحاول الآن أن أتذكر، لست أدرى ما اعتراني هو حلم؟ أو

خيال؟ أو حقيقة؟ ولا أدرى هل أشعر برهبة أو متعة؟ فتداخلت كل المشاعر في قلبي وكل الأفكار في عقلي، فلم أجد إلّا أنتِ أهرول إليك وألقى برأسي على كتفك.

ولازال فكري محيّرًا، أو سنلتقي هناك؟ وهل ستكونين كما أنتِ جميلة؟ وهل ستظل عيناك مصدر سعادتي وستظل لقلبي مأوى؟ وهل سأحبك كما أحببتك أم سأحبك أكثر؟ ... نسيتُ أن أسأله منْ منا سيعود أولا؟ ومن منا سيودع رفيقه؟ وأيضا كيف نخلص أرواحنا من التشبث بالدنيا؟ وكيف نجعلها تتذكر ما نسيت من حقائق، ولكنه ...غَادرَ...! قبل أن أُكمل أسئلتي، فهل يا تُرى حبيبتي عندما يعود سأتذكر أن أسأله؟ وهل سيكون عندها للسؤال جدوى؟!!

*****



(١١)

أعلنتُ الحب

أقف هنا في شرفة الفندق الفخم في الطابق الخمسين، أنظر إلى الأسفل لأجد حركة السيارات انسيابية يتلألأ ضوؤها يشقُّ ظلام الليل، تتهادى السيارات منتظمة في خطوط مستقيمة. وأنظر إلى الأفق لأرى البحر وقد عكس صورة القمر في منظر يدعو للتأمل والسكون. يختلف المنظر من هنا عنه في الأسفل فكلما ارتفعت بنا سنوات العمر تقل رغبتنا في رؤية التفاصيل التي كانت تنغص علينا حياتنا وكلما زادت رغبتنا في رؤية جمال الحياة، إن الصورة من بعيد تختفي فيها التفاصيل المملة والأحداث الرتيبة والنتوءات التي امتلأت بها الوجوه والقلوب.

أصدقائي، إن تَمَسُكنا بالحياة يزداد كلما قاربنا على فقدها وكلما اقتربت السفينة من مرفئها الأخير. نشعر بأن اليوم والساعة له أهمية لم نكن نشعر بها من قبل، ولم لا! فلم يبق منهم الكثير، وعندما يقل الشيء تزداد قيمته عندنا ويزداد شعورنا بحاجتنا له، إننا لا ندرك قيمة ما يتوفر لدينا إلّا بعدما يتسرب من أيدينا ونوشك على الفقد وعندها نلوم أنفسنا لتفريطنا ونحاول أن نتمسك بما تبقى منه، فنقبض عليه بأيدينا وأسناننا بعدما لا يصبح لدينا إلّا القليل أو تضعف قدرتنا على التمسك به فيظل يتسرب منا.

ألقى جسدي فوق الفراش الوثير وقد اكتسى بالقماش الناعم المعطر، وامتلأت الغرفة بأجهزة التحكم، فمن هنا أنادى المطبخ ومن هنا يأتى عامل النظافة ومن هذا الزر أستدعى أخصائية التدليك، إن كل شيء هنا ميسر لراحتي ورفاهيتي. إن لهذه الرفاهية ثمن باهظ وجب سداده مقدمًا لكي يهنأ هذا الجسد الذي استُهلِك في السعى في دروب الحياة الغير ممهدة والتي لم تكن يوما ممهدة لأحد منا.

إنى أفتقد لفافة تبغي، كم أتمنى أن أشعلها الآن وأن أحرر الدخان المحبوس في داخلها وأراقبه يطير حرا في فراغ الغرفة ويخرج من فتحة الشباك يطلق جناحيه، ينطلق في الفضاء الرحب بعدما كان مقيدا داخل لفافة التبغ. لقد منعني عنها ذلك الطبيب بنرجسية وتعالٍ كأنما يعاقبني على مرضي أو رغبة منه في ممارسة تعسفه على مزاجي وتقييد حريتي التي فقدتها منذ وِلدْتُ، فمنذ ولدت وأنا أسير في طريق خُطط لي مسبقًا وأن كل ما أقابل وأجابه قد تم ترتيبه من قبل. هل تعلم أن كتابة شهادة ميلاد الطفل هي إقرار بأن شهادة وفاته أصبحت حتمية، وأنها مؤجلة لبعض من لحظات العمر أحيانا تطول قليلا وأحيانا تقصر، ولكنها آتية.

إن الوجع يزداد بزيادة إدراكنا وتعمق أفكارنا، بل كلما أدركنا شيئا تولّد فينا وجعٌ جديد، فأصبحت أوجاعنا متعددة، كم تمنيت أن أمارس حياتي بلا إدراك كأغلب الناس كى لا أشعر بذلك الوجع، ولكن حينها كنت سأدرك أنى لا أعيش الحياة التي أتمنى وسأدرك أنى أعيش، وهما مع الغالبية، وكنت سأدرك أنى لا أنتمى لذلك العالم وسأدرك اختلاف جيناتي الوراثية. ومع كل إدراك يتولد وجعٌ. إن الوجع فينا قاطن لا يفارقنا.

إني لا أفتقد فقط لفافة تبغي يا سادة، إني أشتاق إليكَ أكثر، أريدكَ أن تكون معي وأريدكِ أيضا أن تكوني معي. نعم أنتَ وأنتِ فلا داعي أن أكتب الأسماء أو أن أشير لكم أو أن أطيل النظر في عيونكم، فأنتَ هنالك قد عرِفتَ أني أعنيك، وأني قصدتُك أنتِ، وأعلم أنكم هنالك تتابعون أعمالي وأخباري بصمت، تتخفون حتى لا أكتشف وجودكم ولا أتبين نظراتكم، ولكنني أعرفكم جميعا ويصلني ما تشعرون به من حب وأرى لمعة الزهو في عيونكم عندما تقرؤون أخباري.

إني أفتقدكم حين أفرح ففرحتي لا تكتمل بدون من أحب وسعادتي لا يلمع بريقها بدونكم فوجودكم معي يضاعف من قدرتي على تذوق النجاح وقدرتي على الشعور بالسعادة. يتراءى لي وقت مرضي وأني سأفتح عيني لأراكم جميعا من حولي، فهل بتلك النظرة المملوءة أسف وأسى تشاركونني الألم؟ أم ستخفى خلفها التشفى؟ أكاد أسمع حديثك لنفسك، إنه من الجيد أن المرض أخطأك ولم تكن أنت في مكاني، وأسمعك أنت أيضا فشعورك بالأسى أكثر عمقا فقد تراءى لك اقتراب دورك وأن ذلك الجسد المفعم بالحياة سيتمدد وقد أصابه الوهن وأعمل فيه المرض مطرقته.

إنى لا أخجل أن أقولها لكم جميعا أنى في حاجة الأن لحبكم وتواصلكم ومشاركتكم لأفراحي ونجاحاتي أكثر من احتياجي لكم وقت مرضي، عليكم أن تعلموا أن السير في جنازة الميت لا ينفعه بقدر ما تنشر النشوة في قلوب الأحياء وتنمى إحساسهم بالعزة والمكانة. أيّها السادة، إن خطواتكم إلى من تحبون في فرحه وفي أنسه لأفضل له من سيركم في جنازته، وإن وردة له وابتسامة في

وجهه وحضن يملأه الحنان لأفضل من باقة ورد على قبره أو صدقة جارية أو بحور الدموع لفراقه.

لماذا نخفي حبنا ونتعالى عليه؟ هل لأنه يشعرنا بالضعف؟ أو لأن الحب هو اعتراف بتسليم زمام مزاجك وسعادتك لمن تحب وتجعله يكتشف الوجع الذي يعتريك في البعد وبسهرك مع طيفه بينما يهنأ هو بنوم عميق؟ إنى أتساءل ولا أجد إجابات شافية، هل نخفى حبنا حتى نتألم نحن وحدنا دون أن يكتشف أمرنا من أحببنا؟ أم نخفى حبنا ونعيش وحدة عزلتنا كى لا نتعرض يوما لجرح الحبيب أو لطغيانه أو لاستبداده في استعمال سلطة الحب علينا؟ ... إننا أيّها السادة نهرب من عذاب الحب والخوف من الفقد إلى ألم الوحدة ولوعة الحنين لشخص أخفينا عليه حبنا حتى أصبح لا يدري عنّا شيئا.

إنى قررت الثورة على تقاليد الحب التي توارثتموها، فلم أعد أقتنع بجبنكم في مواجهة أحبتكم وبفروسيتكم عندما تشاطرون أحدًا العداء، إني قررت أن أهدم دفاعاتكم الواهية التي تتخفون خلفها

وأن أكسر جدار الصمت، وأن أُحيي بصرختي الحب لكي يملأ العالم نبضا وحياة.

إني أعلن حبي لك وأفتقد استمتاعي بحديثي الغير منمق معك، وإني أسترسل في الحديث بلا تحفظ أتنقل بين الأزمة وبين الأماكن بتلقائية طفل عائد من سفر. لا أدرى لماذا أمامك لا أخجل من تكرار قصص إخفاقاتي وانكسارات قلبي. وحين كنت ألْمِلم قروشي المعدودة كى أشترى لأمي هدية عيد الأم، وحين كنت أوزع الحلوى التي أشتريها على أقربائي وعندما تفرغ الحلوى أجد أمي توهمني أنى أخطأت وأعطيتها قطعتين وتعيد لي إحداهما، كانت أمي تحبني بكل اللغات إلّا بلغة الكلام وكنت أسمعها بكل أعضائي ولا تسمعها أذني.

لذلك فإني أقول الآن "أحبكِ وأشتاق إليكِ" كى تقرأها عينكِ وتسمعها أذنكِ ولتعلمي أنكِ حين تخلدين في نومكِ يحمل القمر المنير إليّ طيفك فيؤنس وحدتي ونتبادل سويا أحاديث الوجد ويقص كل منّا للآخر أحداثه اليومية، وأحيانا أنتظره، فلا يأتِى طيفكِ ولا يظهر القمر.

إنى أحبكِ ولا أخشى من العواقب، أحبكِ الآن وأجد في حبنا سعادة يجدر بنا أن نعيشها ونمارس طقوس العشق ننقشه جدولا يجرى فيه الماء وينبت على شاطئيه الأقحوان، أنتِ الآن تعلمين أنكِ تملكِي مقود سعادتي وبوصلة مشاعري وأني أدور في فلككِ، وأني كنتُ كذلك دوما قبل الآن وسأظل أحبكِ.

إني أدعوكم جميعا أن تفشوا الحب بينكم، أن تجعلوا الحب نسيمًا يكسو وجه الصباح والمساء، أن تكون جَسورا في الحب وليس في البغض والعداء، أدعوكم ألّا تكنزوا مشاعركم لتطلقوها وقت المرض أو وقت الموت حتى لا يموت الحب في قلوبكم مع منْ مرض أو مات، فالحب خُلِق ليُمَارس ويحيا وينبت خيرا ونماء.

*****



(١٢)
ويبقى الوجع

ناهزت الساعة العاشرة مساءً، وأنا أجلسُ خلف مقود سيارتي، أتجول في أرجاء المدينة تأخذني شوارعها المتشابكة في متاهة فلا يكاد ينتهي شارع حتى يتفرع منه شوارع أكثر.

أصطحب معي فنجان قهوتي وعلبة دخاني فهما لا يتركاني في مثل تلك الأوقات، وكأنما يشعران بي ويؤثران أن يكونا معي. أطالع الأماكن من حولي، أبحث عن مكان، أتمهل أمام المقاهي والمطاعم فلا يروق لي أي منهم فأواصل التجوال، أراقب وجوه المارة وخطواتهم، أراهم تمنقوا في ملابسهم ويكاد يصلني رحيق عطورهم ينتابني شعور أنها ليست من بهجة تغمرهم ولكنهم مثلكم تماما يتنمقون لإخفاء بعثرة نفوسهم، يحاولون إخفاء تلك الثقوب السوداء التي اعتمرت بها القلوب من نوائب الدهر، ويضعون على وجوههم بسمةً تُخفي وجعَ العمر، وترسم البنات عيونهن لتُخفي تلك العبرة القاطنة فيها من غدر الحبيب وخيبات الظن. أراكم جميعا تشاركوني رحلتي في البحث عن مكان نأوي إليه، نشعر بانتمائنا له، يمتد منه حَبلٌ سرىً يصلنا بمحيطنا، نتصالح من خلاله مع ذاتنا، ونتوحد مع ما حولنا.

ما أقسى ألّا نجد لنا مكانًا لنذهب إليه!!

يوما ما، كان لنا مكان نأوى إليه، كنا إذ ابتعدنا عنه نحمله داخلنا وعندما نقترب منه يحتوينا فيه. نشعر أن جدرانه حنونة وأن هواءه عليل وأن الأشياء فيه تنشد معزوفة الصباح والمساء طربا وترسم الأفق لوحات فنيه بألوان قوس قزح. أكتب لكم من خلف مقود سيارتي وأتخيل كيف ترمقني عيونكم وأن آذانكم تتجول في شراييني محاولة استراق السمع إلى دقاق القلب وخوالج النفس لاستبيان ما أبحث عنه، ها أنتم تتخيلون وتتوقعون. كنت سابقا أضجرُ من أن أشعر بأحد يتجول في عروقي وحتى تفهمت أنكم تنتظرون أن أكتب بقلمي ما تشعرون به، وأن أعبّر عن آلامكم وأن أزرف دمعي وأكتب معاناتي وأتعرى من كل القناعات أمامكم جميعا. بينما أنت هنالك في مكانك تحتسى فنجان قهوتك، مضجعا على الأريكة بلباسك المهندم وعطرك الذي يملأ المكان عبيرا وتكسو وجهك تلك الابتسامة المجرية.

لا أُخفى عليكم، فأنا مثلكم تماما أشعرُ الآن بأن الأماكن تضيق بي، وأن النفوس تلفظني، وكأني لا انتمى لهذا العالم فعالمي المنسوج

داخل جيناتي الوراثية، منذ خُلقت ومنذ جف طوفان نوح، يختلف عمّا أرى وأعايش. إن عالمي القاطن داخلي أجد فيه الابتسامة الصافية في العيون والنظرة الحنونة. إن عالمي يتراحم فيه الناس وتنسجم فيه المخلوقات سويا لكي يؤدى كل منهم دوره في الحياة. إن عالمي الذي أصبو إليه لايزال قاطنًا داخلي منذ بدء التكوين ويبحث عن مستقر.

أضغطُ فجأة على المكابح، لا تنزعجوا... إنه ذلك الشاب اليافع يتسارع بسيارته التي يتلألأ لونها تحت أضواء الشوارع، وتسير برشاقة وخفة بين جمع السيارات التي تلهث مثقلة في مشيتها، تطوى الأرض بعنفوان وأمل، تخرج من نوافذها أنغام الأغاني الشبابية تملأ الكون الحياة، تضجر منه بعض السيارات الطاعنة في العمر، وتصيح عليه بصوتها المبحوح الذي لا يكاد يخرج من حلقها تصب عليه جم غضبها. إنه يتسابق مع الزمن وليس مع سياراتكم العجوز، إنه يحاول أن يحلق في السماء، يشعر أن المسافة بينه وبين تحقيق حلمه الوردي بضعة أمتار أو بضع ثواني.

يضغط أكثر على دواسة البنزين، مثلما فعلنا نحن تماما، يتسابق في نفس الحلبة التي كنا يوما فيها. هل تذكرون كيف سبقتْ خطواتُنا أحلامَنا وطوينا الأرض صعودا وهبوطا حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن. وعندما وصلنا أدركنا أن الزمن قد سبقنا وشاهدنا أحلامنا من خلف الأفق باكيةً. فأرادت أحلامنا أن تولد وأردنا لها الحياة ولكن سبقنا الزمن فضاع المكان.

لازلتُ أدور وتزداد الشوارع هدوءًا وتكسوها الظلمة أكثر، أشعرُ بالوجع بئرًا يجذبني إليه، أتمهل ....، فأغوص أكثر في دوامة ألم وفي أفكاري المبتدئة من حيث أكون إلى حيث الناس والممتدة إلى العالم من حولي.

لقد سكن الألم كل البلدان وأصبح أنين الطفل في سوريا يتردد صداه في السودان. لازلت أهوى، وأضجر من حدود المكان، كم تمنيت أن أكون طائرًا يذهب حيث يريد ولا تقيده حدود. أو أن أصنع من وجعي قوسًا يقذفني سهما من حيث أكون إلى بغداد. ما أكثر وجعك يا بغداد وما أطول ليلك، أين موسيقاك وأمسياتك الشعرية؟، أين ضحكة الأطفال؟ أين البريق في أعين الماجدات؟،

وأين المجد علي همم الأشاوس؟! ماذا ألم بك يا دجلة ولِمَ أمسكت ماءك؟ ومن أين لك يا فرات الملوحة ؟!

يتجمع الوجع فيصنع قوسا أكبر يقذفني بعيدا حيث كان هنالك يوما (يمنا سعيدا) وكانت بلقيس هنالك تتبختر بجمالها الفاتن، ما أحزنك اليوم يا بلقيس على أحفادك وعلى قصور أمست رمادا.

ما أطول وجعك يا وهران فلقد غادرت النسائم ليلك واستعمرت الذئاب ديارك فامتدت عبر الصحراء إلى درنة فانتحبت تونس ألما.

إن الهموم تعدت مفهوم الفردية والحوادث اليومية أصبحت تقاس بمقاييس المسافات البعيدة وكونت غيمة تحجب نور القمر عن أرض كانت يوما مكسوة بالقمح والياسمين. كم كنت أحب سماع موسيقى أم درمان وشعراء السودان ومشاهدة رقصة الزول والزولة في الأعراس وكم انتشيت برائحة "الدلكة" والبخور هل تتذكرون نقوش الحناء على الأيدى السودانية، يوم كانت فقط سودانية وليست جنوبية ولا شمالية.

ما بال خليجنا يتلون بعدما كان عربيا ولا ندرى هل سيبقى أم يصبح فارسيا؟ أم سيجف كما جفت طبرية؟! فرغم دموع الثكالى تجفُ طبرية ويبتلع العاصي مياهه وتتوارى جارة الوادي عن شرفتها خجلا، وتحتضن دمشق تاريخها كأم تحمى بصدرها الوليد وتقف في وجه لصوص الإنسانية. ولاتزال بهية تقاوم أمراض العمر وتداوى طعنات أولادها وأقرانها وتمهد طريقا للخير وتبني جسورا للسلام وتغزل حريرا وتنسج تاجا لعروسة نيلها فهل سيأتي النيل من بعيد؟!

ترتفع السيارة وتهبط، إنها المطبات الصناعية. ناهزت الساعة الثانية وخلت الشوارع من روادها وأغلقت المحلات أبوابها، وسكن الليل، كنت أطرب لأغاني فيروز وكنت أعيش الليل و"دقت الساعات تصحى الليل"، كان هنالك متسعٌ في القلب ليشعر بالجمال، كان هنالك شعاع من الأمل يشرق من بعيد. أما الآن فها هو ليلي يحاصرني ووحدتي تخنقني ولم أزل أبحث عن مكان.

هل وجد أي منكم المكان الذي يذهب إليه؟!

المكان الذي لا يكون وحيدا فيه؟

المكان الذي تكون فيه إنسانًا، فقط إنسان، فلقد تخلينا عن كل أحلامنا ولم نعد نطمح بأكثر من أن نكون بشرًا. ومن منكم لايزال مثلي لم يجد له مكانًا فليأت معي لنعيش وحدتنا سويا، ونجدل من أحزاننا مصباحًا ومزهرية، ونجعل من حطام آمالنا طاولة وأريكة، نتكئ عليها ونسمع فيها موسيقانا الشرقية، فنؤنس وحدتنا لعلّ وحدتنا تتركنا يوما وتذهب بعيدا، وعندها نرى ضوء القمر وتطفئ نسماتُ الليل ضوءَ مصباحنا المجدول من الوجع.

*****



(١٣)

فاصل ونواصل

يجلس سامي في شرفة بيته الخلفية المطلة على الحديقة شارد الذهن، فلقد كانت الفترة الماضية مكتظة بالعمل حيث أنهى مشروعا في شركته، وكذلك قد سلّم كتابه الثاني لدار النشر لطباعته، كما أنجز عدة لقاءات إذاعية وتليفزيونية. كان يفترض به أن يكون سعيدا ونخورا بما حققه، لكنه يشعر بالحزن والاعياء. يحدّث نفسه هل أجرى كل ما يجب من مراجعات على كتابه؟ وهل تبقى فيه بعض من الأخطاء الاملائية؟ ويراجع في رأسه جدول تسليم المشروع ويتساءل، هل تمت جميع مراحل الفحص بالكفاءة المطلوبة؟ أم قد تظهر عيوب في المستقبل؟ وهل غطى كتيب التعليمات كل الأسئلة؟ وهل سيلتزم المستخدمون بتعليمات الاستخدام؟! أسئلة كثيرة ومعلومات أكثر تتكرر في رأسه كلّما اختلى بنفسه ... دخلتْ زوجته الشرفة وهي ترتدى رداء الصلاة، وجلست على كرسيها ومعها نسخة من مسودة كتابته تتصفحها باهتمام. فبادرها بالقول:

- هل وجدتي أخطاء؟ هل ما في الكتاب من معلومات واضحة؟ أفكر في أن أوقف النشر وأعيد كتابته مرة أخرى، يقول المسؤول في دار النشر انه كتاب قيّم وأتوقع انه يقول نفس الشيء

لكافة الكتّاب فهذا عمله وأحد عناصر نجاح دار النشر هو عدد الكتب التي ينشرها ويروّج لها. كثيرا ما أتساءل ما أهمية ما أنجزنا؟ ومن المستفيد؟ أشعر بإحباط ووهن شديد.

(ترمقني محاولة فهم ما أقول)

- هون عليك يا أبو محمد، لقد أصبحتَ تردد كلمات الشيوخ، لا تصدق شعرك الأبيض فلازلتَ في ريعان شبابك ولم يزل لديك الكثير. ما تشعر به الأن يطلق عليه "شعور الإحباط بعد النجاح"، إنه يتسلل إلى نفسك بسبب المجهود المفرط الذي بذلته، أنك تخشي الا تحقق أعمالك ما تصبو اليه من نجاح وهذا دأب المبدعين.

(قالت وهي تزيل نظارة القراءة وترفع رأسها)

- (يعتدل في جلسته ويعتدل في مواجهتها) هل ما أكتب يختلف عما يكتبه الآخرون؟ فكل الأفكار نوقشت منذ مئات السنين فما الجديد ان نكرر أفكار ارسطو والفارابي، وماذا سنضيف أكثر مما أضافه ابن رشد وابن العربي والبيرونى. وماذا سنقول بعد ديكارد وسبينوزا وجون لوك وديفيد هيوم وكانط. فكل المسائل الفكرية والإنسانية تم مناقشتها من أوجه عدة.

- (تأخذ نفسا عميقا ...) دائمًا ما كان التردد هو آفة المثقفين، فكلّما ازداد عِلم وثقافة المفكّر ازداد تردده وقل اقتناعه بما يكتب ذلك لاتساع معرفته بما أنجزه الآخرون فيتضاءل انتاجه في عينه. ولأنه يشعر دائمًا أن هنالك الكثير من التفاصيل لم يتطرق إليها.

- أتعني، أنه لو فكّر من سبقونا بنفس المنطق ما كان لأي منهم أن يكتب شيئا، صحيح أن العلوم الإنسانية في تغير دائم وأن العلوم الطبيعية تأخذ قفزات في كل يوم، وما كان من علوم الكلام والفلسفة في الماضي أمسى اليوم من علوم الطبيعة حيث أثبتت بعضه ونفت الآخر، خذي نشأة الكون مثلا، كان موضوعا فلسفيا إلى أن تدخل العلماء ووضعوا نظرية الانفجار الكبير ومن خلال الطيف قاموا بحساب عمر الكون. وكذلك نظرية الأكوّان المتعددة والثقب الأسود والأمثلة كثيرة. لهذا فكل يوم تنشأ علاقات منطقية جديدة بين الأشاء وكل مطلع يستطيع أن يعبر عنها بطريقة مختلفة وفقا لاتجاهه الفكري وخلفيته الثقافية والأيدولوجية.

- صحيح تماما، فعليك أن تدرك أن ما تعرفه وتعتبره بديهي، لم يزل مبهم لدى الكثيرين الي جانب قدرتك التحليلية ومهارته في إيجاد العلاقات بين الأشياء وتوفيق الآراء التي تزيد المور ايضاحا، لذلك أرى انه يتوجب عليك أن تبذل ما تستطيع لكي تدون افكارك وتنشر آراءك بطرقتك المبسطة وأن تضيف لها ما يتناسب مع مستجدات العصر.

- وما يدرينا ان ما سنأتي به سيكون مفيدا؟

- انه مفارقة الشعور بالقدرة والقدرة ذاتها، فالصغار والأقل ثقافة يشعرون بقدرتهم على فعل أي شيء، ولذلك تجد فيهم الحماس والشجاعة التي قد تصل الى التهور، وعندما تأتي الفرصة يفشلوا لعدم قدرتهم الحقيقية.

- (مبتسما) أتذكر عندما ركب ابننا محمد السيارة وهو في عمر الثامنة وأدار المحرك وكان يريد ان يقودها لولا أنني قفزت داخلها بسرعة ومنعت كارثة محققة.

- الأن هو لديه القدرة على القيادة ويشعر بأنه قائد ماهر لذلك فلا خوف عليه إنه يقود بحرفيه عالية، فقد تعلم الدرس وأصبح يتأنى ويدرس قبل أن يقدم على فعل أي الشيء. وعلى النقيض

من ذلك كنتُ أنا أتردد في صنع البسبوسة التي تحبها في البيت حتى أضررت يوم زارتنا أختك في وقت متأخر، فنجحت نجاحا باهرا ومن يومها أصبحت متخصصة في صنع البسبوسة.

- هذه هي حالة إنكار الذات الزائدة وإضعاف الشخص من قدراته، فيشعر أنه لا يقدر بينما هو قادر، لذلك يجب أن نمنح أنفسنا فرصة للتجريب حتى لا نقلل من قدراتنا.

- لقد أقمت هنا الحجة على نفسك، فأنت لديك القدرة على فعل الكثير فلا تجعل ترددك يوهن من عزيمتك ولا يضعف من قدرك. ليس لديك رفاهية التوقف عن الإبداع.

- أرى أنكِ محقة.

تمتم بهذه الكلمات، باستسلام يبدو منه عدم الاقتناع الكامل إلّا أنه آثر ان ينهي النقاش عند هذا الحد قبل ان يتورط معها بالتزام جديد. اتجه إلى مكتبه في الغرفة المجاورة، وأخذ يفكر في كلماتِ منى زوجته والمفارقة بين الشعور بالقدرة والقدرة ذاتها، وتساءل... إذا كان الشخص لا يشعر بالقدر وهو فعلا لا يوجد لديه قدرة ... مؤكد هذا هو حال طالب العلم والمعرفة يعرف ما ينقصه ويسعى لاستكماله. فهو شعور إيجابي يدفع صاحبه للتقدم.

أما من يتقارب شعوره بالقدرة مع قدرته الحقيقية فهذا هو القائد الملهم الذي ينجز خطواته بحكمه واتقان. يمسك قلمه ويقلب أوراقه باحثا عن لا شيء. تدخل منى من الباب

- هل ستكتب شيئا؟ أتريد كوبا من الشاي؟
- تعالي، حقيقة إني متعب، فقدت قدرتي على التفكير.
- لا بأس في ذلك، إنك تستحق استراحة تمارس فيها أعمال مختلفة، وتغير فيها أماكن لتعيد تجديد النشاط لروحك ثم لعقلك، لعلي اقترح عليكَ قضاء نهاية الأسبوع في شقتنا على شاطئ البحر في الاسكندرية.

نَظر إلى عينيها الجميلتين وابتسامتها الساحرة وهي مزهوة كأنها جاءت بفكرة عصية، وباغتها ... أتدرين أني اشتقت إليك.

- ردت بعتب: دائما ما تشغلك عني الأفكار، والكتابة والالتزامات، فلم تترك مجال الا ولك فيه مشاركة، وتتركني وحيدة أحدث نفسي. أتدري أنيّ أتلصص عليك وأنت تكتب وأقرأ ما تكتبه من خلال جلستك وملامح وجهك ودخان سيجارتك.
- (رد بحنان) ذكاءك أكثر ما يجذبني، ألم تشعري بي أتسلل إلى أحضانك كل ليلة كطفل صغير يستقي من أمه الحنان.

- ترد بشيء من الخبث: ولما لم توقظني؟ فلربما كنت أكثر شوقا اليك.
- سأوقظك المرة القادمة، دعينا نرتب الرحلة معا وصدقيني لن أتركك تنامي.
- سنري من يأخذه التعب ويخلد في النوم أولا.

بعد عدة أيام، يجلس سامي في مكتبه مصطحبا فنجانه ومشعلا لفافة تبغي تاركاً العنان لقلمه حينا، او يطالع بعض الكتب والمقالات حينا آخر، ومن وقت للأخر ينظر إلى الفتحة الضيقة في باب المكتب، فتملأ الابتسامة وجهه وكأنه ينظر ان تتقابل عيناه مع عيني زوجته.

*****



(١٤)

قراءات نقدية

[أ]

فلسفة النقد والتأمل في مجموعة سِفر الحب

لا ينفصل المبدع عن بيئته ومجتمعه؛ فنراه ليس بمعزل عن مشاكله يستقى أفكاره من واقعه وتراكمات خبرات وتجارب من حوله، يدرك معاناة مواطنيه، ويحلل سلوكياتهم وطبائعهم.

وقد أدرك كاتبنا الدكتور محروس عامر هذه الحقيقة فحاول الانخراط في مجتمع مرَّ بالعديد من التحولات وخضع للكثير من المتغيرات التي بدلت سلوكيات مواطنيه وخاصة فئة الشباب؛ فصارت ثمة هوة كبيرة بين جيلين أحدهما لم يولد منذ فترة بعيدة لكنه مر بقفزة كبيرة لم يكن جيله مهيأ لها.

في إطار نسق فني بديع، تناول الكاتب عدة قضايا مهمة مستخدمًا أدق العبارات وأبلغ المعاني في تراكيب منمقة ومرتبة من خلال سرد أنيق يثير دهشة القارئ ويجذب انتباهه، تحمل بين طياتها العديد من المعلومات والحقائق إضافة إلى المتعة الذهنية التي ينالها القارئ في هذه الرحلة.

وهذه الدهشة التي تحتويك بمجرد قراءة العنوان: سِفر الحب.. فقد اختار الكاتب كلمة سِفر التي تعنى الكتّاب الكبير - الذي يشمل عدة أجزاء - لما للحب من معانٍ كثيرة وما يثيره من هواجس تدعونا للتأمل حول ماهية الحب وتلقى في عقولنا العديد من التساؤلات وترسم علامات الاستفهام التي يطول تفسير الإجابة عليها ولم نزل لا نحيطه علما.

اختيرت العناوين بدقة بالغة فتبدأ بالمواجهة.. مواجهة النفس أمام المرآة التي لا تكذب، وتكشف للإنسان حقيقته دون زيف، إنها فلسفة المواجهة، مواجهة الذات بحقيقتها.. كما أراد الكاتب مواجهة المجتمع بأفكاره وسلبياته ومعتقداته التي تهيمن على العقول رغم تغير الزمن.

استخدم الكاتب عدة تشكلات مكانية وزمانية فانتقل من ضيق الغرف المغلقة من أمام المرآة إلى فضاء أرحب على شاطئ البحر وفي الحدائق يستمد بهاء الحرف من دفء الطبيعة وجمالها، مرة يعيش بقلب طفل صغير يجذبه نداءات أمه، ومرة يبدو كهلًا يعاين خرائط الشيب التي احتلت تضاريس رأسه، والتجاعيد التي

شقت أخاديدها في روحه.. كما نلاحظ أن زمن السرد لم يحدده الكاتب بل تركه مفتوحًا فهو يصلح لكل زمان..

ويتنقل الكاتب بين أروقة ذاكرة المجتمع ليرسم لنا صورة التناقضات التي نعيشها وحالات التمرد التي تعترينا في بعض الأوقات.. اعترافات لا نجرؤ على ذكرها إلا في حالات الخلوة مع النفس بعد فقدان الشغف للتقدم في الحياة ندرك الحقيقة وأننا سنبقى رغم الوجع..

إنها ليست مجرد قصص قصيرة أو نصوص؛ بل تأملات إنسان مفكر وحكيم في عالم سادت فيه الصراعات وانتشر الانجراف نحو الماديات فابتعد الناس عن الروحانيات ورغم ذلك لم ينعموا بالسعادة واللذة التي كانوا يتوقعونها مكافأة تنتظرهم بعد خوض هذه الصراعات..

مجموعة تأملات تستحق القراءة مرات ومرات والتأمل فيما حولنا والوقوف وإعادة النظر في اهتماماتنا وأهدافنا.

د. أمل درويش

كاتبة وناقدة

مستشار ثقافي

(ب)

جولة في ثنايا سِفْرالحب

استنشقت عبير بوح ما سردة الكاتب الدكتور/محروس عامر وتجولت بين الحروف... وهنا بصمت إعجابا وتقديرا ببوح قلبه قبل قلمه فهناك لحظات تغير من نبض القلب، وهناك همسات تمنح ارواحنا أجنحة، وهنالك حرف ينبض على أوتار القلب وتهيم فيه المشاعر ... حيث ضياء الحب.

أرى في هذه النصوص أجمل الكلمات تنساب لحناً وتتراقص على شفاه الألفاظ وتداعب أوتار الحروف وتتزاحم في أسطر الورقة البيضاء حيث المستقر والمأوى والمنتهى لأحلام انسانية وفلسفية.

ففي (مرآتي) نجد ان اللغة التى كتب بها قد أظهرت قدرته على ترتيب الكلمات داخل الجمل النحوية بطريقة أبرز فيها موهبته. فإنتقي أساليب معينة وأكثر من الإستفهام (؟) لأسئلة كثيرة تراوده -هل تعشق حبيبتي هذا الشعر الابيض؟ وهذا الوجه المتعب؟ ام تلك الخطوط التي رسمتها الايام على جبهتي؟! ام تلك

الهالة الداكِنة أسفل عينيّ؟ - والاستفهام هنا زاد من تشويق القارى والإصرار على معرفة الإجابة على تساؤلاته.

وفي (غدا سنلتقي) استخدم أسلوب الوصف للتعبير عن المشاعر بكلمات مركبة بأسلوب أجاد فيه إيصالِ ما تحمله مكنونات النفس من حب و عشق وهيام .. وقد وصل المعنى بأفضل الطرق مع الحرص على إضافة الجماليات اللغوية باستخدام تشبيهات واستعارات رائعة مما ساعد في زيادة تأثيرها على المعنى.

وفي (تمرد) أرى كلمات ولوعة عاشق كأن بها الإعتراف الأخير والشعور الأقوى وحصيلة مسيرة شاقة من تدبر الحب ومعرفة أغواره وكشف أسراره. فهنيئا للحروف التى تحمل طيات الحنين والشوق و الحب السرمدي..

وفي (إعتراف) تحدث بكلمات ومشاعر دفاقة لتوضح كم تغمره السعادة بلقاها وكيف تتحكم عيناها في بوصلة حياته..... وقد نجح في انتقاء الكلمات وعمل نوعا من التشاكل التركيبي مما ساعد على انتاج بنية ايقاعية رائعة.

الكتاب في مجمله رائع والحقيقة أكثرما لفت نظرى هي البلاغة، فالبلاغه هنا قوية والجمل اللغوية متناسقه ومتوافقه وبعيده كل البعد عن اي سبب يغيب فيه المعنى.

دكتور/محروس، من روعة حروفك تستطيع أن تروي بساتين الروح .. وتتجمل بباقة نجوم يانعة تفتح مزاج يومنا للفرح والحب. فقد ترجم قلمك بسخاء نبضات صادقة عزفها قلبك الوفي فسمق حرفك في سماء الحب ونثر لنا بذورا نادرة عساها تأتيك بحصاد جيد فيرتاح قلبك الأبي.

واخيرا إبق كما أنت دائما كي يسكن العطر في محبرتك وتنزلق الحروف منك كحبات الكرز في بستان اللغة.

أحسنت وأبدعت.

الأديبة / وفاء يوسف فودة

مدير عام سابق بشركة بترول

(ج)

التجريب الأسلوبي في (تمرّد)

وأنا أطالع متون السرديات ذات الطابع الشعري في (تمرّد) للدكتور محروس عامر أعادني الأسلوب إلى عصور خلت في المعطى الأدبي الممزوج برؤى وأفكار فلسفية وأحيانا صوفية ومن المعلوم أن العقل العربي طيلة قرون من الزمن قد استطاع أن يستوعب المتغيرات التي طغت على البيئة العربية، ولعّل أواخر العصر الأموي والعصر العباسي، يعدان من أغنى العصور في كل المجالات اللغوية والأدبية والعقلية والشرعية، ويرجع ذلك إلى مزاوجة العقل العربي بين البيان والبرهان والعرفان، وتطابقه مع كثير من معطيات الثقافات الأخرى، الأمر الذى انعكس على الواقع الأدبي، فظهرت ملامح جديدة فيه لم يكن للعرب سابق معرفة بها، وبخاصة مع ظهور الفرق الإسلامية ذات النزعة الكلامية والفلسفية، فانطبع الأدب بأطروحات ومصطلحات وافدة، استوعبها العقل العربي وطوعها حتى تتوافق مع المعطى الإبداعي العربي في المشرق والمغرب.

أطلق الدكتور عامر على سردياته الوجدانية وكأنه يحاول مغايرة ثوابت وقواعد القصّ العربي بمنحى فلسفي يميل إلى التصوف الذى عرفه الأدب العربي وشاع في عصر ازدهار الدولة أو هو ذو طابع فلسفي مغاير إذا أردنا أن نحدد مفهوما أو تصورا للأدب الفلسفي لا بد من البدء من الإشارة إلى تعريف للفلسفة أولا، إذ به نستطيع أن نكون عدسة نرى من خلالها علاقة الفلسفة بالمنتج الأدبي وفي أبسط تعاريف الفلسفة (حب الحكمة) والسعي للغرائبية في إنتاج الجمال ومغايرة قواعد لعبة الأدب، ثم تعيدني كتابات محروس عامر إلى محاولات ظهرت ثمانينيات القرن الماضي حيث ظهرت الرمزية تيارًا أدبيًا وأصبحت النزعة الرمزية أبرز تيار شعري في فرنسا نهاية القرن التاسع عشر فقد جذب إليه عددًا كبيرًا من الأدباء الفرنسيين أبرزهم : بول فرلين ، وآرثر رامبو ، وستيفان مالارميه. كما (أن ظهور الرمزية في ذلك الوقت لا يعني أن جذورها لا تتعدى ذلك التاريخ، إذ تعود أصولها إلى ما قبل الميلاد فهي تشترك مع الفلسفة الأفلاطونية في الجانب المثالي). فالرمزية (تبحث عن عالم مثالي متطهر من أدناس العالم الواقعي

المحسوس، وثمة أصول أخرى في الشعر الميتافيزيقي عند الإنكليز في القرن السابع عشر).

كما يعد الشعر العربي من أغنى الآداب في توظيف الرمز الشعري ، فقد زخر الشعر العربي منذ بدايته بألوان من الرموز التي تخفى وراءها العديد من المعاني ، إذ كان الرمز أكثر التصاقا بالغزل، وقد تطرق قدامة بن جعفر للرمز إذ عرفه بقوله: (إنما يستعمل الرمز في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفضاء به إلى بعضهم فيجعل للكلمة أو الحرف اسمًا من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس أو حرفًا من حروف المعجم ويطلع على ذلك الموضوع من يريد إفهامه فيكون ذلك قولًا مفهومًا ، بينما مرموزًا عن غيرها ولعل الدكتور محروس قد قرأ هذه التجارب ومحصها وخرج بإسلوب خاص به في عملية التوصيل وحاول أن يحصر دائرة التلقى على طبقة معينة من المجتمع في بعض ما احتوته مجموعته، أما مواضع أخرى في المجموعة فهي تنفتح على مجموع المتلقين.

ومثال الموضوعات التي تقصد الكاتب فيها الإيغال في الرمزية للارتقاء بالمتلقين وانتقاء طبقاتهم (غدا سنلتقي، إعتراف ، أدركت

الحقيقة) أما بقية الموضوعات ورغم تضمينها للرمز إلّا أنها منطوية على جماليات اللغة الأدبية الفنية (الإمتاعية) إذا صح التعبير بمعنى أنها تحقق للقارئ متعة التلقى ومن خلال حسن السبك وعلاقات الألفاظ والأجراس الموسيقية الظاهرة في بعض الجمل المسجوعة داخل المتن مع التركيز على جماليات اللغة في مواطن كثيرة من هذا المتن؟، أتمنى لهذه التجربة النجاح في أن تؤسس لمجموعة متلقين نوعيين يدركون أسلوبية الكتابات الأدبية ذات الطابع المتمرد على الواقع .

الناقد: كامل الديلمي العراق ٢٠٢٢/١٢/١٠م

عن الكاتب

محروس عامر، من مواليد محافظة كفر الشيخ تخرج من كلية الهندسة جامعة الإسكندرية ثم بدأ حياته المهنية في القاهرة، وقضى جزءًا كبيرًا من حياته المهنية خارج مصر.

تميزت أعماله بمناقشة فلسفة المشاعر والسلوك الإنساني ومآلات تفسيره وتصويبه إلى جانب لمسات من أدب الاغتراب ليكون مزجا فريدا يتميز به.

تميز الكاتب باطلاعه الواسع علي العلوم الإنسانية والطبيعية والفلسفة، مما ترك أثرًا جليًّا في كتاباته وجعله كثير الترحال في أعماق النفس البشرية والظواهر الكونية.

مهنيا:

خبير في مجال نظم المعلومات.

دراسات عليا في علوم الكمبيوتر.

يشغل العديد من المناصب الإدارية العليا في مجموعة من الشركات داخل وخارج مصر.

أدبيا وثقافيا:

رئيس مجلس إدارة جريدة كنوز عربية EG

نظم وأدار وشارك في العديد من المؤتمرات والصالونات الثقافية

نظم وأدار وشارك في العديد من جلسات مناقشة الكتب.

نُشرت له مقالات عديدة في الجرائد المصرية والعربية

شارك في العديد من البرامج التليفزيونية المهنية والأدبية.

حاصل على لقب سفير السلام من مؤسسة نبراس السلام للتنمية

الإصدارات المطبوعة:

صدر له "عيناكِ" خواطر قصصية ٢٠١٩ عن دار لوتس

فهرس

الإهداء.. ٥
(١) مرآتي.. ٧
(٢) تناقض.. ١٣
(٣) ذكرى لا تموت.. ١٩
(٤) غدًا سنلتقي.. ٢٥
(٥) تمرّد.. ٣١
(٦) اعتراف.. ٣٧
(٧) هل تَحُبَني؟.. ٤٣
(٨) فقدان الشغف.. ٤٩
(٩) أدْركتُ الحقيقة.. ٥٥
(١٠) سنبقى معًا.. ٦١

(١١) أعلنتُ الحب ٦٩

(١٢) ويبقى الوجع ٧٧

(١٣) فاصل ونواصل ٨٥

(١٤) قراءات نقدية.. ٩٣

(أ) فلسفة النقد والتأمل في مجموعة سِفر الحب...... ٩٤

(ب) جولة في ثنايا سِفْرالحب................. ٩٧

(ج) التجريب الأسلوبي في (تمّرد) ١٠٠

عن الكاتب ١٠٥